الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة
كلية الآداب و اللغات و الفنون

محاضرات في مقياس التداولية

لصالح طلبة السنة أولى ماستر اختصاص لسانيات

➢ من إعداد: الدكتورة مسلم خيرة

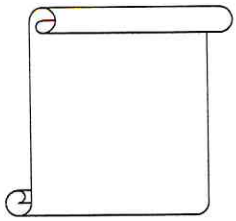

المحاضرة الأولى:

1

التداولية بين الفكر العربي والغربي....

التداولية علم جديد للتواصل أثارت العديد من الباحثين بما تتيح من إمكانات لحل مشاكلهم العالقة كما أنها فضاء مفتوح على مختلف المعارف الإنسانية فهي تغرف من علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاتصال، والذكاء الصناعي وغيرها، تطورت مع السبعينيات من القرن العشرين وقد ظهرت على النظريات اللسانية كالبنيوية والتوليدية والتحويلية التي ركزت في دراستها على الجانب الشكلي للغة وعزلها عن سياقها الثقافي والاجتماعي وإهمالها للظروف النفسية والاجتماعية للمتكلم والمخاطب، وتعرف التداولية تهتم بدراسة اللغة في حيز الاستعمال، وبالتالي تجاوز المعاني الوضعية للمفردات والمتعلقة بالبنية والدلالة إلى معان أخرى التي تمثل السياق بنوعيه؛ السياق الداخلي والسياق الخارجي ممثلا في المقامات التي ينجز فيها الخطاب، والمقام والمتكلمين ومقاصدهم وقدرات المتلقين على الاستيعاب وكفاءاتهم التواصلية أوالتداولية.....فما هو تعريفها اللغوي والإصطلاحي ؟

1- **التعريف اللغوي للتداولية:** لقد أجمعت جل المعاجم العربية على أنّ الجذر اللغوي لمصطلح التداولية هو الفعل الثلاثي (د.و.ل) فقد وردت في مقاييس اللغة على أصلين أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان لآخر، والأخر يدل على ضعف واسترخاء.

فأما الأوّل فقال أهل اللغة : أندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان.

ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدُّولة والدَّولة لغتان. ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب ، وإنما سميا بذلك من قياس الباب ؛ لأنه أمر يتداولونه ، فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا .[1]

والإدالة : الغلبة ، ودالت الأيام أي دارت ، والله يداولها بين النّاس، قوله تعالى : "وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُها بَيْنَ النَّاسِ " آل عمران-140. وتداولته الأيدي : أخذته هذه مرّةً وهذه مرّةً .[2]

كما جاء في أساس البلاغة دالت له الدولة. ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه. ويقال : الدهر دول وعقب ونوب، وتداولوا الشيء بينهم.

أي مرة لهذا ومرة لذاك [3].

هذه المعاني والدلالات نصادفها أيضا في معاجم أخرى، منها ما ورد في معجم المحيط:

الدُّولة: انقلاب الزمان، والعُقبةُ في المال، ويُضّمُ، أو الضم فيه، والفتح: في الحرْبِ، أو هما سواءٌ. وقد أدالَهُ. وتداولوه : أخذوه بالدُّوَلِ . [4]

وفي تاج العروس "والدَّولة في الحرب: أن تُدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدولة . قال الفراء : قوله تعالى: [5]**{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}**.

قرأها السّلمي فيما أعلم بالفتح، وقال: ليس هذا للدولة بموضع، إنما الدَّولة للجيشين، يهزم هذا هذا، ثم يهزم الهازم، فتقول: قد رجعت الدَّولة على هؤلاء، كأنها المرة؛ قال والدولة بالضم في

---

[1] ابن فارس معجم مقاييس اللغة تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون دار الفكر للنشر والتوزيع (د.ط) 1399هـ-1969م (ج 2) ص 314 .

[2] ابن منظور، لسان العرب (ت. عبد الله علي الكبير، محمد حسب الله ، هاشم الشاذلي) ، دار المعارف—القاهرة- طبعة جديدة ، المجلد2 باب الدال ص 1456 .

[3] الزمخشري أساس البلاغة (ت.محمد باسل عيون السود) دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط1 ،1419هـ-1998م ج1 باب الدال ص 303 .

[4] الفيروز آبادي القاموس المحيط (ت . انس محمد الشامي. وزكرياء جابر احمد) دار الحديث -القاهرة - (د.ط) 1429هـ-2008م حرف الدال ص 577.

[5] القرآن الكريم سورة الحشر الآية 7 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المجلس العلمي للكلية

الملك والسنن التي تُغيّر و تُبدل عن الدهر، فتلك الدُّولة. (أو هما سواء) بمعنى واحد، يُضمان ويُفتحان. (أو الضم في الآخرة والفتح في الدنيا).

وقال أبو عبيد: الدُّولة، بالضم: اسم الشيء الذي يُتداول به بعينه، وبالفتح: الفعل ".[1]

ولا تكاد المعاجم الأخرى تخرج من هذه الدلالات، وخلاصة هذا المفهوم اللغوي، أن من مجالات لفظ(دول):

- التحول من مكان إلى مكان (القوم)؛
- التناقل من أيدي هؤلاء إلى أيدي هؤلاء (المال)؛
- الانتقال من الحال إلى حال. لذا كان مصطلح (التداولية) أكثر ثبوتا على معاني التحول والتناقل من المصطلحات الأخرى الذرائعية، النفعية، السياقية...وغيرها.[2]

رغم تعدد الدلالات والمفاهيم لهذا المصطلح إلاّ أنها لا تخرج عن معاني الدوران والتنقل والتحول .

جاء في مختار الصحاح للرازي (ت 666 هـ): " دول: الدولة في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى يقال كانت لنا عليهم الدولة و الجمع الدول بكسر الدال و الدولة بالضم في المال يقال صار الفيء دولة بينهم يكون مرة لهذا و مرة لهذا و الجمع دولات و دول، و قال أبو عبيد: الدولة بالضم اسم الشيء الذي يتداول به بعينه و الدولة بالفتح الفعل. و قال بعضهم هما لغتان بمعنى واحد، و قال أبو عمر بن العلاء: الدولة بالضم في المال و بالفتح في الحرب، قال عيسى بن عمر: كلتاهما تكون في المال و في الحرب سواء، و الإدالة الغلبة يقال اللهم أدلي على

[1] جواد ختام التداولية اصولها واتجاهاتها دار الكنوز للنشر والتوزيع – عمان – الطبعة الأولى 1437هـ/2016م ص 14 .

[2] خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم بيت الحكمة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2009 ص 148.

فلان و انصرني عليه و دالت الأيام أي دارت و الله يداولها بين الناس و تداوله الأيدي أخذته هذه مرة و هذه مرة"[1] .

كما جاء في لسان العرب لابن منظور: " تداولنا الأمر: أخذناه بالدل و قالوا: دواليك أي مداولة على الأمر، قال سيبوبه: و إن نشأت حملته على أنه وقع في هذه الحال، و دالت الأيام أي دارت، و الله يداولها بين الناس، و تداولية الأيدي: أخذته هذه مرة و هذه مرة و تداولنا العمل و الأمر بيننا بمعنى تحاورناه فعمل هذا مرة و هذا مرة[2]" أي أن مفهوم التداول ها هنا يفيد التحول من حال إلى حال و منه قوله تعالى: إن يمسسكم فرح فقد مس القوم متله و تلك الأيام نداولها بين الناس و ليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء و الله لا يحب الظالمين.

و جاء في معجم مقاييس اللغة: " الدال و الواو و اللام أصلان أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، و الآخر يدل على ضعف و استرخاء أما الأول فقال أهل اللغة: " أندال القوم، إذ تحولوا من مكان إلى مكان و من هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم، أي صار من بعضهم إلى بعض، و الدولة و الدولة لغتان، و يقال: بل الدولة في المال و الدولة في الحرب ... بذلك من قياس الباب لأنه أمر يداولونه فيتحول من هذا إلى ذلك و من ذاك إلى هذا، و أما

[1] الرازي: مفتاح الصحاح، ترتيب محمود خاطر، حمزة فتح الله، دار البصائر، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان 1987، مادة دولن ص 216.

[2] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر لبنان ط 1، 1990 مادة دول، م 11، ص 252.

الأمل الآخر فالدويل من النيت: ما يبس لعامه. قال أبو زيد: دال الثوب يدول، إذا بلى، و قد جعلاه و ده يدول: أي يبلى، و من هذا الباب أندال بطنه، أي استرخى"[1] .

و في هذا الصدد يقول الباحث المغربي طه عبد ارحمن: " تداول الناس كذا بينهم، يفيد معنى تناقله الناس و أدواره فيما بينهم، و من المعروف أيضا أن مفهوم النقل و مفهوم الدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة، كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة، فقال: نقل الكلام عن قائله بمعنى رواه عنه، كما يقال نقل الشيء عن موضعه أي حركة منه، و يقال: دار على الألسن بمعنى جرى عليها ... فالنقل و الدوران يدلان في استخدامها اللغوي على معنى التواصل، و في استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين ... فيكون التداول جامعا بين اثنين هما: التواصل و التفاعل فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولا بالفعل[2]" .

و على هذا الأساس، راح طه عبد الرحمن في كتاباته يجعل مصطلح التداوليات مقابلا للفظ الأجنبي pragmatique حيث يقول: و قد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا) لأنه يوفى المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيي الاستعمال و التفاعل معا. و لقى منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم" .

---

[1] أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تج: عبد السلام محمد هارون، د ط، 1399 هـ 1979 م، دار الفكر ص 314-315.

[2] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدرا البيضاء، المغرب، ط 2، 2006، ص 244.

أما هذه المقتضيات التصورية المتعلقة بمصطلح التداولية القول أن معناها يترنح بين التفاعل l'interaction و التواصل communication، كما يعتبر في بعض المناحي على معنى الانتقال و التغيير.

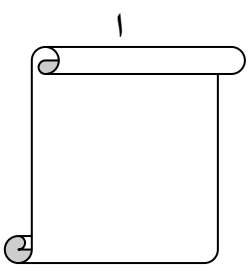

المحاضرة الثانية

2

مفهوم التداولية في الفكر المعاصر:

تعددت التعريفات بهذا المصطلح و تنوعت بحسب تخصصات أصحابها، فحاولنا الوقوف على أهمها في كل من الدراسات العربية والغربية :

عرف مصطلح التداولية(pragmatique) مدولات عديدة ،انطلاقا من الأصل اليوناني (Pragma)الذي يعني العمل (Action) ويبدو هذا الأخير على درجة من الغموض إذ يقترن به في اللغة الفرنسية المعنيان الآتيان : (محسوس) و (ملائم لحقيقة) . أما في الانكليزية ، وهي اللغة التي كتبت بها أغلب النصوص المؤسسة للتداولية ، فإن كلمة (pragmatic)تدل في الغالب على ماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية[1]

رغم تواتر استعمال لفظ " التداول " قديما وحديثا إلا أن الدلالة الاصطلاحية تأخرت في المعاجم اللسانية الغربية إلى بدايات القرن العشرين، حين أشار شارل موريس إلى أن دراسة السيميوزيس أو سيرورة التدليل Semiosis لها ثلاثة مستويات هي:

التركيب ،والدلالة، والتداولية. وأوضح أنَّ هذه الأخيرة تبحث في العلاقة بين العلامات ومؤوليها ، إلاّ أنّ المرحلة الحاسمة في تطور التداولية تزامنت مع أبحاث أوستن وغرايس في إطار فلسفة اللغة، لتنفتح بعد ذلك على روافد معرفية متعددة جعلتها ملتقى عدة تخصصات .[2]

وعرّفاها كل من آن ربول وجاك موشلار على أنها "دراسة استعمال اللغة ، في مقابل دراسة النسق اللغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاصات اللسانيات .[3]

---

[1] فيليبلانشيه، التداوليةمنأوستينالىغوفمان، ،ترجمةصابرالحباشة،دار الحوار للنشر والتوزيع–سوريا– الطبعة الأولى 2007 م، ص 17.

[2]جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 15.

[3]. نفس المرجع ، ص 15 .

يرجع أول استعمال لمصطلح (pragmatique linguistique) إلى فيلسوف الأمريكي " شارل موريس ويقصد به كل ما يتعلق بمظاهر استعمال اللغة وخصائصه، المظهر التداولي أي الحوافز النفسية المتكلمين وكذا النماذج الاجتماعية وموضوع الخطاب وغير ذلك...[1]

وقد حصر ماهية التداولية ضمن مجال السيمياء بإسناده إليها دراسة العلاقة بين العلامات ومستعمليها وذلك في إطار تمييزه بين مجالات ثلاثة في دراسة اللغة كما ذكرنا سابقا. ويقدم كلا من آن ماري "دييرMarie diller "و " فرانسوا اريكاناتيFrançois Récanati " تعريفا لسانيا للتداولية "أنها هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب".[2]

ويظهر تعريف إدماجي آخر عند " فرانسيس جاك "إذ يقول تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا.[3]

كما عدد جورج يول جملة من التعريفات للتداولية إذ ذكر أنّها [4]:

- ✓ دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم.
- ✓ دراسة المعنى السياقي .
- ✓ دراسة كيفية ايصال أكثر ما يقال.
- ✓ دراسة التعبير عن التباعد النسبي .

وهي عند رائدها "أوستين "Austin جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي، وبهذا المفهوم ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر؛ هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير والتأثر .[5]

---

[1] دنحا طوبيا كوركيس ، البراغماتية الفائداتية ، http://www.wata.ccConsulté le 26/06/2020

[2] عبد الحليم بن عيسى ، النص التراثي وآليات قراءة التداولية ،مجلة أبحاث – العدد الرابع (ديسمبر 2016) ص 11 .

[3] عبد الحليم بن عيسى ، النص التراثي آليات قراءة التداولية ، ص 11 .

[4] ينظر: جورج يول ، التداولية ، ترجمة قصي العتّابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون – الرباط – الطبعة الأولى 1431هـ/2010م ص 19-20.

[5] عبد الحليم بن عيسى ، النص التراثي آليات قراءة التداولية ، ص 11 .

إن التعامل مع مبحث يحاول استنطاق ماهية وجوهر النظريّة التداوليّة؛ هو أمر صعب مستصعب وذلك لسعة مجالها في المنظومة الفكريّة الحديثة، الأمر الذي يؤدّي إلى استعصاء الخروج بتعريف جامع مانع لها يشتمل على إلمامٍ حقيقي وتدقيق فعلي لها،خاصة إذا أدركنا أن طابعها معقّد ومتشابك بحكم أنّه مستقى من روافد فلسفية وأدبيّة وأسلوبية وبلاغية مختلفة.

أمام هذا المقتضى المعرفي قد يفرض على الباحث في هذا المضمار المعني بالحديث عن ماهية وجوهر التداولية –أن يركز على أهم الرّكائز والأسس والمفاهيم التّي قامت عليها هذه النظرية وغض النظر عن محاولة الوصول إلى تعريف يجمع كلّ ذلك الكل المركّب ذو الطابع التشتّتي الذي تنماز به التداوليّة خلافاً للنظريات اللسانية المختلفة، على أساس أنّ هذا الدّرس لا يزال في مراحله الأولى والأبحاث ما تزال قائمة لتبيان أسسهواستباحة عمقه. يقول فرانسوازأرمينكو في هذا الشأن "درس جديد وعزيز إلاّ أنّه لا يملك حدوداً واضحة...تقع التداوليّة كأكثر الدّروس حيويّة في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية والفلسفية"[1].

على الرغم من جود هذا الحاجز المعرفي؛ استطاع مجموعة من العلماء والباحثين تقديم عدد لا بأس به من التعريفات المتعلقة بالتداوليّة التّي شكّلت في نهاية المطاف منظومة مفاهيمية لهذا الدّرس، ومن بين التعريفات التّي أسندت للتداوليّة ما يلي:

([1]) فرانسواز أرميكو: المقاربة التّداولية، ص 07.

يقول "فردیناند هالین" محاولاً ضبط مفهوم التداولية "لنضع مقابلة (سوسير) بين اللّسان والكلام موضع السّؤال، ولنفرض اعتبار التداولية. أنّ ليس في وسعها أن تكون موضوع دراسة منظمة تهدف التداولية إلى بلورة نظريّة لأفعال الكلام، أي نماذج مجرّدة، أو مقولات تصدق على السلوكات الملموسة والشخصيّة التّي ننجزها ونحن نتكلّم"[1]. إنّ هذا التعريف الصّادر من فردیناند هالين يؤكّد على الطّابع التأثيري للكلمة المستعملة في الجمل والعبارات والخطابات على الواقع. فحين نتكلم نحن نُنجز أفعالاً تلقي بظلالها التأثيرية على المتلقي، وذلك من خلال قلب قناعاته واعتقاداته ذاته التّي كانت موجودة في ذهنه ونفسيته قبل المباشرة في العمليّة التفاعلية.

كما عُرّفت التداوليّة بأنها ذلك المجال الذي يركز مقارباته على "الشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغويّة مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلِم"[2]. وهذه دلالة حقيقية أنّ لبّ النظريّة التداولية متمركز في إعداد مجموعة من الشروط والوسائل التّي يكون فيها القول ناجحاً ومقبولاً لدى المتلقي في المواقف التواصليّة المختلفة باختلاف الظروف الزمانية والمكانية وأوضاع المتلقين والاهتمامات الذهنية التّي تساورهم، بالإضافة إلى الأوضاع النفسيّة والاجتماعيّة التّي تَشْتَمِلُ عليها أحوال المتلقين.

أما لسانيا فهي تعني تلك المقاربات التّي تنصبّ على مستوى لساني خاص، وتركز على دراسة الظاهرة اللغويّة وعلاقتها بالسّياق المرجعي للعمليّة التّخاطبية، وبالأطراف المعنيين بتلك

([1]) فرندناند هالين، التداوليّة، ترجمة ومّا محمد، مجلة الفكر والنقد، العدد 24، السنة الثالثة ديسمبر 1999، ص 155.

([2]) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالميّة لوجمان، القاهرة، ط1، 1996، ص 25.

العمليّة التواصلية[1] بمعنى أنّ حركيتها تجاوِز المستويات السّطحية الظاهرة كالمستوى التركيبي والمستوى الدّلالي إلى مستوى خفي آخر يضع نصب عينيه الأطر الزمانية والمكانية التّي تلعب دوراً كبيراً في مجال السّعي للوصول إلى الفهم والتأويل الصحيح لما قيل من طرف المتكلمين ضمن إطار عمليّة تواصليّة تفاعليّة معيّنة.

مراجع المحاضرة :

- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر لبنان ط 1، 1990 مادة دول، م 11.
- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تج: عبد السلام محمد هارون، د ط، 1399 هـ 1979 م، دار الفكر .
- الرازي: مفتاح الصحاح، ترتيب محمود خاطر، حمزة فتح الله، دار البصائر، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان 1987، مادة دول.
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالميّة لوجمان، القاهرة، ط1، 1996.
- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدرا البيضاء، المغرب، ط 2، 2006.
- فراسنوازأرمينكو:المقاربة التداولية: ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، المغرب، 1986.

(1) Maxilico : dictionnaire encyclopédique de la langue français, édition de la connaissance, 1997, p 876.

- فرندناندهالين، التداوليّة، ترجمة ومّا محمد، مجلة الفكر والنقد، العدد 24، السنة الثالثة ديسمبر 1999.

- Maxilico : dictionnaire encyclopédique de la langue français, édition de la connaissance, 1997.

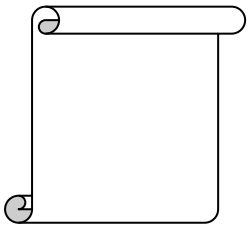

المحاضرة الثالثة

3

الروافد والإرهاسات الأولى للتداولية:

يعتبر " بيرس" من الفلاسفة الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامة انطلاقا من مفاهيمها الفلسفية باعتبارها الأساس الذي يقدم عليه النشاط السيمائي، حيث مثلت له مجالا أوسعا من المجال اللغوي، و لقد وصد يه الحد إلى اعتبار الإنسان في حد ذاته علامة دالة، و حين نفكر فنحن علامة، و لذلك يمكن القول أن السيماء عنده ذات طابع مولي إذا لا يوجد حسبه شيئا خارج نطاق موضعها، حيث يقول" لم يكن بوسعي أبدا دراسة أي شيء كالرياضيات، الاخلاق و الميتافيزيقا، الاقتصاد ... إلخ إلا عن طريق الدراسة السيمائية[1].

و وفق هذا الطرح، فإن السيمياء حسبه تمثل منطقا شاملا عاما يستوعب كل القضايا و الظواهر و الاختصاصات العملية، كما يسعى في الوقت نفسه إلى إقامة قواعد تفيد التمييز السليم بين كل ما هو صحيح و ما هو خاطئ، " إن المنطق بمعناه العام هو علم الفكر الذي تجسده العلامات إنه بصيغة أدق السيمياء العامة"

و قد ظهرت البنية الاولى للدرس التداولي مع ظهور مقاله كيف نجعل أفكارنا واضحة عام 1978، و قد انطلق من سؤال جوهري يقيم عليه دعائمه مفاده: متى يكون للفكرة معنى، وعلى أثر هذا المعطى عكف على دراسته الدليل وأثبت إدراكه يتم عن طريق التفاعل الذي يحدث بين

[1]Charles seders perise :écrit un le signe , Ed seuil, paris,1978, p 32.

الذوات و النشاط الاجتماعي " إن الواقع المدلول عليه نفترض تجربة إنسانية مبنية لأعلى ما هو فردي بل على ما هو اجتماعي[1]"

و من هنا بدأت أفكاره المتجهة للعلامات تأخذ طابعا منفصلا في أساسيتين هما التجربة و المجتمع، أي أنه وصل إلى نتيجة معرفية مفادها أن الممارسة و التطبيق على (الواقع) هما اللذان يشكلان الأساس و القاعدة لمختلف الأفكار[2]، و قد كان ذلك إيذانا للاتجاه نحو النزعة البراغماتية/ النفعية.

فمعنى صدق الأفكار حسب هذه النزعة الفلسفية البراغماتية مرتبط بالمجال التطبيقي العملي السلوكي يقول وليام جيمس في هذا الصدد: " إن الأفكار تصبح صادقة بقدر ما تساعدنا على أن نربطها بأجزاء من خبرتنا بطريقة تؤدي إلى سلوك ناجح في الحياة [3]" ثم يقول إنه ينبغي عليك أن تستخرج من كل لفظ قيمته الفورية الفعلية، و أن تضعه موضع العمل في نطاق محرم خبرتك، بحيث تكون قيمة الفكرة مرتبطة بنجاح السلوك الذي تؤديه الإنسان بناءا على اعتقاده[4]"

و عليه فإن قيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى انطباقتها على الواقع و صياغتها عمليا، مما أدى إلى تحطيم النزعة الفلسفية المثالية و التي كانت تتغنى و تبنى منهجها على الميتافيزيقا بمعزل عن الواقع والتجربة.

---

[1] نعمان بقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة 2006، ص 198.

[2] ينظر: الزاوي بغورة، العالمة و الرمز في الفلسفة المعاصرة، التأسيس و التجديد، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت مارس 2007، العدد الثالث، المجلد 35 ص 199.

[3] صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، ط 1، 1997، ص 24.

[4] المرجع نفسه، ص 24.

و في إطار اهتمامه و تركيزه على الإشارة بحث عن الطرق التي يتم بواسطتها التواصل النقال بين بني البشر، لينكشف له في النهاية أن التداولية نزع مهم من السيمائيات و ذلك فيما كتبه و عبر عنه في تلخيصه لإطارها العام، بحكم أن اللسانيات المتداولية تفترض كلا من الدراسة التركيبية و الدلالية[1] و انطلاقا من هذه الرؤية فإن التداولية حسب بيرس هي أداة مهمة يمكن من خلالها نقل الواقع، كما يمكنها اعتبارها وسيلة من وسائل المعرفة و الاتصال و منهج لجميع ميادين المعرفة و يظهر ذلك جليا في إطار إرجاعه تسديد العلامة اللسانية بتحديدها التداولي الاستعمالي في تنسيق مع علامات أخرى من طرف أفراد جماعة معنية[2]

و على أثر ما سبق، يمكن فهم أ ماس v. masse و فندرليش D. venderlich في كتابهما الموسوم ب: pragmatique and sprachlichers فهما و لو كان سطحيا حين أوعز الجذور و المرجعيات الكبرى للفكر التداولي إلى أربعة أصول أساسية، من بينها الدرائعية الأمريكية pragmatisme[3].

مراجع المحاضرة :

- الزاوي بغورة، العالمة و الرمز في الفلسفة المعاصرة، التأسيس و التجديد، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت مارس 2007، العدد الثالث، المجلد 35.

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفية الجامعية، مصر 2002، ص 09.

[2] ينظر: محمود أحمد نحلة المرجع السابق ص 41.

[3] ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد بياتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ت) ص 4-5.

- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، ط 1، 1997.
- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفية الجامعية، مصر 2002.
- نعمان بقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة 2006.
- Charles sedersperise :écrit un le signe , Ed seuil, paris,1978.

المحاضرة الرابعة :

4

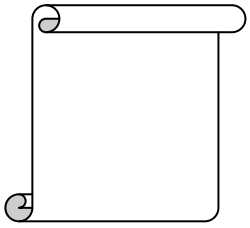

- **قراءة في إسهامات الفلسفة التحليلية:**

لقد كان للفلسفة التحليلية أثر بارزا في الانبثاق المعرفي للتداولية و قضاياها و آلياتها الإجرائية الآن في الدراسات اللسانية و لابد لنا أمام هذا المقتضى التصوري، أن نخوض غمار البحث و الحديث عن ماهية هذا الاتجاه الفلسفي الذي مثل بعمق الإطار العام لانبثاق الدرس التداولي المعاصر، كما بات لزاما علينا التعرف عن أهم الأسس و الخلفيات و القضايا الكبرى التي استطاع من خلالها أن يجد لنفسه مكانا معرفيا يؤهله لوضع البنية الأولى للدرس التداولي المعاصر الذي أضحى يمثل قطب و الركز الذي لا ينبغي تجاوزه في أي دراسة جادة تبحث في الظواهر اللغوية و الأشكال الأدبية بمختلف أشكالها و صورها ...

إن بزوغ هذا الاتجاه الفلسفي التحليلي في تاريخ الدراسات الفلسفية الغربية، كان بمثابة ثورة فلسفية أخذت على عاتقها توجيه الفكر الإنجليزي إلى إطاره الأصيل و المتمثل في الاتجاه التجريبي[1] الذي بنى أساسه المعرفي على قاعدة فلسفية جوهرية مفادها: أن التعامل الإيحائي مع القضايا و الإشكاليات لا يتحقق الأمن خلال تجريب كل ما هو جزئي مباشر، لذلك سعى هذا الاتجاه إلى تفتيت المركبات إلى جزئيات بسيطة عن طريق كل ما هو مركب رمزي في أي صياغة

[1] ينظر: مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء للدراسة و النشر و التوزيع القاهرة، 1998، ص 37.

أو تعبير لغوي قصد الوصول إلى الدقة في تحديد الأجزاء و العلاقات المتوضعة في هذه الصياغات[1].

إن هذا المسار الفلسفي التحليلي أدى بسرعة إلى انهيار حصن الفلسفة التحليلية و المثالية الجديدة التي كانت تسيطر على دواليب الفكر الفلسفي آنذاك و التي كانت ترى أن العالم كل فريد لا ينقسم إلى أجزاء في حقيقته، و أي محاولة لتجزئته تشويه زائف و لا يوجد حق سوى الواقع ككل و هو ما يسمى مطلق[2] و عليه أصبح التعامل مع القضايا و الظواهر و العبارات وفق مسار تحليلي بقوم على تفتيت المركبات إلى عناصر بسيطة أكثر وضوحا تؤدي إلى تفادي الغموض بحكم أنها توصل في نهاية الأمر إلى عناصر أكثر وضوحا تؤدي دورها إلى ظهور عناصر جديدة ذات طبيعة معرفية مباشرة.

و يمكن إجمال المرتكزات المعرفية التي شدت كيان الاتجاه التحليلي في أربعة مبادئ أساسية ذكرها شوليموفسكيsholimowiski و هي:

الاعتماد على دور اللغة، و اعتبارها دعامة أساسية في التفكير الفلسفي.

تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة جزءا جزءا.

خاصتها المعرفية

اعتمادها على مبدأ " البنى الذاتية"Inter subjectivité أي المعالجة المشتركة بين الذوات في عملية التحليل.

[1] ينظر" مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، مرجع سابق ص 36-37.

[2] ينظر: فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت 1985 ص 44-45.

و لابد لنا في هذا المجال من الاعتراف أن العديد في الاتجاهات الفلسفية تقدم على نفس هذه المبادئ، و لكن المظهر الكفيل بزرع الحد الفارق بينها و بين الأنواع الفلسفية الأخرى هو اجتماعها معا و في آن واحد داخل إطار الفلسفة التحليلية[1].

أما بالنسبة لأهم رواد هذا الاتجاه الفلسفي، برنارد راسل B. Russell(1872-1970)، و تتمثل مساهمته الأساسية في محاولته الجمع بين المنهج التجريبي و العقلي من جهة، و كذا محاولته تزويد الفلسفة بالمنهج العلمي، و كان من أهم اصداراته المهمة في هذا الصدد كتاب أصول الرياضيات و برنكبيامانيماتيكا[2].

كما نجد إلى جانب الفيلسوف الأخير، جورج ادوارد مور G.E.Moore و هو فيلسوف إنجليزي شارك في تأسيس الحركة التحليلية إضافة إلى دوره المهم في تجديد الواقعية في بلده إنجلترا، لكنه كان يدرج تحت وطأة المثالية الهيجلية الجديدة و كان له عدة أعمال فلسفية مهمة من مثل دفاع عن الحس المشترك و كتاب " مبادئ الأخلاق"[3] .

و بالإضافة إلى هذان الفيلسوفان نلقي لودفيج فتغنشتاينL.Wittegentein (1889-1951) و هذا الأخير منطقي نمساوي تحصل على الجنسية البريطانية و عمل كأستاذ في جامعة كامبرج، و بداية من سنة 1903 اتجهت جهوده إلى دراسة اللغات الطبيعية[4]. و لقد

---

[1] ينظر: فان ديك، النص و السياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا بيروت، 2000 م ص 140.

[2] ينظر: مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، ص 32 و ما بعدها

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 28 و ما بعدها

[4] ينظر: الجيلالي دلامش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد بياتي، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر (د. ت) ص 20-21.

كان لهذا الفيلسوف الدور الفعال في انبثاق أهم نظرية في الدرس التداولي المعاصر و هي تظرية أفعال الكلام كما تصور فتغنشتاين و هو ما سوف نتطرق إليه في السطور المعرفية اللاحقة.

اقتضى هذا الفيلسوف مبادئ تيار الفلسفة التحليلية و ظهر ذلك جليا في إطار محاولته مع زميله " راسل" إقامة لغة مثالية رمزية تتجنب كل عيوب اللغة العادية، بحيث يكون كل اسم الأعلم مسمى معين، كما تعنى هذه اللغة أيضا بدراسة التركيب الصحيح لمفردات اللغة بوضع قواعد هذا التركيب، كما تدرس قواعد الاستبدال من صورة من الجمل إلى ما ينجز عنها من صور أخرى[1]. و قد كان ذلك يصب في إطار نظرية سمياها " النظرية الذرية المنطقية" و هي نظرية ميتافيزيقية تجريبية، تحاول الإجابة على مجموعة من الأسئلة من مثل: مما يتألف العالم و ما أنواع الموجودات فيه؟ و ما أنواع القضايا التي تتفرع عن هذه الموجودات؟ و ما العلاقة بين اللغة و الواقع[2]؟

و لكن بعد جهد جهيد، تراجع كل منهما عن هذه النظرية، لأنهما أيقنا أن إقامة اللغة المتالية مشروع يستحيل تنفيذه، لذلك اتجهت جهودهما نحو انتقاد مبادئ و مرتكزات الوضعية المنطقية وأسس اتجاها جديد أسمياه " فلسفة اللغة العادية[3]" و هو اتجاه يقوم على البحث في طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الإنسان العادي، و قد ظهر تراجع" فتغنشتاين " عن مشروع اللغة المتالية والنظرية المنطقية في كتابه " الأبحاث الفلسفية philosophical Investigation.

بعد ذلك انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع هي:

---

[1] ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت 1985 ص 43.

[2] ينظر: المرجع نفسه ص 31.

[3] ينظر: المرجع نفسه ص 43

الوضعانية المنطقية positivismme logical بزعامة رودولف كازناب

الظاهراتية اللغوية phénoménologie du langage بزعامة ادموند هوسرل

فلسفة اللغة العادية philosophie du langage ordinaire بزعامة فتغنشتاين[1]

ويمكن اعتبار الفرع الأخير بمثابة ال الفكري الأصيل لنشوء الفلسفة الأوستينية في اللغة، حيث انبعثت منها ظاهرة الأفعال الكلامية [2]و التي تعتبر من النظريات المهمة التي تشكل الجهاز المفاهيمي التداولي و الذي لا شك فيه أن هذه النظرية هي استمرارية و بلورة و تطور لنظرية الألعاب اللغوية التي أسس لها الفيلسوف فتغنشتاين.

ومن بين أهم الأسس التي نشد كيان نظرية الألعاب، فكرة الاستعمال التي كان لها الأثر البالغ على منعطفات الفلسفة الحديثة و المعاصرة، حيث من خلال الاعتداد بها حدثت نقلة نوعية حطمت فيما بعد مدح البنيوية العتيد الذي كان يقدم على الاهتمام بالنموذج البنيوي التركيبي المحايث و المعزول عن الظروف المقامية المحيطة بعملية الانتاج اللغوي، إلى فضاء مبسوط آخر يمكن أن نعبر عنه بالنموذج التداولي/ التواصلي/ الاستعمالي، يقول فتغنشتاين في هذا الصدد و هو في معرض حديثه عن مهام الفلسفة: " أي أنها في معركة صد البلبلة التي تحدث في عقولنا

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تدوالية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة و النشر، بيروت، ط 1، تموز يوليو 2005ن ص 22.

[2] ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط 1 ، الجزائر 2009، ص 50.

نتيجة استخدام الغة، نعقل الإنسان قد لا ينتبه إلى استخدام اللغة نتيجة لافتنانه بها، الأمر الذي قد يؤدي إلى قيام المشكلات الفلسفية"[1]

إن هذا المنحى ذو الطابع الاستعمالي بالدرجة الاولى هو ما نراه يغذي و بعنف نظرية ألعاب اللغة، و يظهر ذلك جليا في كتابه المهم الموسوم بـ بحث في الفلسفة و المنطق 1921 " سنة 1921 الذي تحدث نية عن مفهوم التلاعب بالكلام، و أصبح في الأزمنة اللاحقة أحد دعائم ظهور التدوالية، و مرد ذلك أنه مرتبط بالمعنى الفعلي الذي تمنحه الملفوظات، أي أنه يقوم على ممارسته التأويل من خلال الأداء الفعل للغة، و هو ما يقودنا إلى استحضار كل العناصر و الحيثيات و الظروف السياقية (المكانية و الزمانية) .. عند محاولة فك شفيرات الكلام المنتج. و عليه يغدو من المهم " الأخذ بعين الاعتبار سياق الملفوظية إذا ارتبط الأمر بعملية فهم دلالة التعبير اللغوي أو شرحه[2]"

و على إثر هذه الموجات الفلسفية الفتغنشتانية تحطمت النزعات التصويرية الفلسفية التي كانت سائدة، و التي كانت تعتبر أن اللغة تخضع لحسابات منطقية دقيقة تحكم لكل كلمة في اللغة معنى واحدا و محددا [3]و أصبحت طريقة النظر إلى اللغة أكثر شمولية، بحيث ربطت نظرية الألعاب اللغوية بنى الأقوال التي نتلفظ بها و الواقع و الظروف و الممارسات الحياتية، يقول في هذا الصدد: " يمكننا اعتبار اللغة مدنية قديمة متاهة من الأزقة و الساحات و المنازل القديمة و الجديدة

[1] الزواوي بغورة، الفلسفة و اللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة و النشر، ط 1، بيروت 2005 ص 103.

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 51.

[3] ينظر: فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص 57.

التي بها اضافات من أحقاب مختلفة و كل هذا محاط بسلسلة من الضواحي ذوات أزقة مستوية و منتظمة بها منازل موحدة الشكل[1]"

في ظل هذه المعطيات التنظيرية الفلسفية الجديدة نلمس نقلة نوعية مست طريقة النظر إلى وظيفة اللغة، فبعدما كان يعتبر فتغنشتاين أن وظيفة اللغة هي وظيفة الرسم (أو ما يسمى بالصورة) أي رسم و تصوير العالم الخراجي حيث كان يقول " إن القضية رسم للوجود الخارجي على النحو الذي يعتقد أنه عليه، انتقل إلى رؤية معرفية أخرى مفادها أن وظيفة اللغة هي الاستعمال و التفاهم مع الآخرين و التأثير عليهم. " فلا نقول بدون اللغة لا يمكننا الاتصال الواحد منا بالآخر، و غنما نقول بالتأكيد بدون اللغة لا يمكننا التأثير في الآخرين، على هذا النحو و ذاك، و لا بناء للطرق و صناعة الآلات و غير ذلك، كما نقول كذلك: بدون استخدام الكلام و الكتابة لن نستطيع الناس الاتصال ببعضهم[2]" و في هذا دلالة واضحة صريحة على أن وظيفة اللغة تنحو نحو شقين اثنين و هما: التفاهم/ الاتصال و التأثير و هذا الأخير لا يتحقق إلا إ كانت الاستراتيجية المتبعة في بناء الملفوظات غير معزولة عن مقامات الكلام و حيثياته و تمفصلاته و هو ما ظهر في نظرية أفعال الكلام عند أهم منظريها أوستين و سورل، اللذان تبنيا هذا الطرح الوظائفي للغة و هما ينظران لمفهوم الفعل الكلامي، و هو ما سنتحدث عليه في مباحث لاحقة من هذه المحاضرات.

[1] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التدوالية، ص 20-21.

[2] الزواوي بغورة، الفلسفة و اللغة، ص 104.

مراجع المحاضرة:

- الجيلالي دلامش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد بياتي، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر (د. ت)
- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط 1 ، الجزائر 2009.
- الزواوي بغورة، الفلسفة و اللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة و النشر، ط 1، بيروت 2005.
- فان ديك، النص و السياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا بيروت، 2000 م .
- محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت 1985 م.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تدوالية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة و النشر، بيروت، ط 1، تموز يوليو 2005.
- مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء للدراسة و النشر و التوزيع القاهرة، 1998.

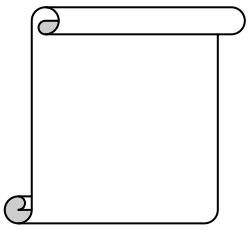

المحاضرة الخامسة :

5

الجذور الفكرية الأولى للتداولية (تابع)

يمكن تصنف اسهامات الفيلسوف شارل موريس ضمن المقاربات و البحوث الفلسفية المهتمة بدراسة الدليل و متعلقاته، و قد حمل هذا الفيلسوف في تصوره التداولية جزءا أصيل من السيمائية* كما سنرى في السطور المعرفية اللاحقة.

إن الجدير بالذكر في هذا المقام، أن المفهوم الذي أو كل للتداولية في الفكر الفلسفي و اللساني المعاصر إنما انبثق من تصورات و تدريبات موريس و هو يحاول التنظير للدليل، فقد استخدم مصطلح التداولية باعتباره مجال معرف يتموضع ضمن علم العلامات أو السيمائية

* لابد من الذكر في هذا المقام ان اللساني دي سوسير هو مبتدع مصطلح sémiologie و هو علم يدرس حياة العلامات في طلب الحياة الاجتماعية، و المرادية هو دراسة كل أنظمة التواصل دون الاقتصار على نظام التواصل اللغوي، و من الأنظمة العلاماتية نجد: الخط و أبجدية الصم و البكم و الطقوس الرمزية و علامات التأدب و الإشارات العسكرية للاستزادة: ينظر: أحمد الوردني، قضية اللفظ و المعنى و نظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن السابع ف/ 13 2، دار الغرب الاسلامي، المجلد الثاني، ط 1 2004، بيروت ص 74.

sémiologie كما ذكرنا سالفا، بحيث جعله بمثابة البعد الثالث من الأبعاد التي تشكل في مجملها هذا العم و تفصيل ذلك فيما يلي:

علم التركيب: ويتجه هذا العلم إلى دراسة اللغة دراسة نسقية بالإشراف على مجموع العلائق التي يمكن أن تحدثها الكلمة مع نظائرها في التركيب بالإضافة إلى محاولة ضبط القواعد التي تلقي على كاملها المحافظة على تحويل الجملة أو العبارة التي مطروحة في النصوص و الخطايات بمختلف أشكالها و صورها، بمعنى أدق هو ذلك المجال الي يعني بدراسة العلاقات الكلية بين العلامات بعضها مع بعض"

و في ظل هذا التصور الذي يبنى عليه علم التركيب، يمكن القول أن العناصر الخارج لغوية extra l'nautique في مثل سياق الحديث الكلامي و مصاحباته من حيثيات منعزلة عن النسق (الزمان، المكان، العلاقة بين الباحث و المتلقي، القصدية (الهدف التلفظ) إلخ

لا تمثل أي قيمة في هذا المستوى سوءا تعلق الأمر بعملية إنتاج اللغة، أم عملية تلقي هذه اللغة كلام و ما يترتب عليه من محاولة للتأويل و التفسير و التحليل و البحث عن الوظيفة و القصدية القائمة وراء التلفظ.

علم الدلالة:

هو المستوى الثاني من مستويات السيمائية عد شارل موريس و يوجه هذا العلم اهتمامه إلى دراسة علاقة الكلمات بالعالم الخارجي، أي أنه يقدم على " دراسة علاقة العلامات بالأشياء

التي تدل عليها أو تحيل إليها[1]" و يتم ذلك عبر تقصي مجموع العلائق بين المعاني و الأشياء التي تعنيها في إطار سياق اللغة. إلا أن المعنى المتوصل إليه في هذا المستوى حسب الباحث هنرش بليت H.Plett قد لا يعكس المعنى الحقيقي المراد من العبارات اللغوية، خاصة إذا أدخلنا في الحسبان مسألة انقطاع الإحالة و غياب المراجع و حضور المجاز و فهو ما نراه بكثرة في الخطابات الأدبية خاصة في القصائد التعبيرية المطعمة بأبعاد إيحائية و أسرار و شيفرات لا يتم القبض على مقاصدها و دلالتها.

علم التداولية: و يقدم ذا العلم على " دراسة علاقة العلامات بمفسرها[2]" أو هو جزء من علم أعم (المتمثل في السيمائية) يعالج العلاقة بين العلامات بمستخدميها[3]، بمعنى أنها تركز على الإطار التواصل و هي تحاول تحديد العلاقة بين العلامات و من يستخدمها في الاتصال، و وفق هذا المقتضى التصوري، لا يمكن اعتبار ما تلفظ به من عبارات و صيغات لغوية أطر شكلية محاثية و معزولة عن سياقها التواصلي الذي أسست فيه.

و بتعبير آخر يمكن القول ان هذا المستوى/ المجال التداولي هو مجال يضع بوصلته المعرفية باتجاه دراسة العلائق الموجودة بين اللغة و بين الناطقين بها و المسؤولين لها[4]، و انطلاقا من هذا التحديد الذي أوكله موريس للتداولية يجعلها أحد الأسس القارة التي ينبني عليها علم السيمائية،

---

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 2002 ص 09.

[2] المرجع نفسه ص 09.

[3] ينظر: خليفة بوجادي، اللسانيات التداولية، مرجع سابق ص 56.

[4] ينظر: نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ و الإجراء، بيت الحكمة ط 1، الجزائر 2009 ص 23.

يمكن الخروج بحقيقة معرفية مفادها ان العلامة عنده" تتجاوز مجالها اللساني، و مجالها الإنساني إلى مجالات أخرى:

المجال الحيواني، الآلي الطبيعي[1*]"إن ما يهمنا أمام هذا الطرح الذي اختصت بهت نظيرات موريس هو ذلك المسار المعرفي القائم على ربط المجال التداولي بمقاربة العلائق الموجودة بين العلامات باستعمالاتها، و مقاماتها و أطرافها التواصلية، وينتج عن هذا الربط ضرورة الولوج إلى المعطيات و الحيثيات المصاحبة للحدث الكلامي (عملية التلفظ) على أساس ان هذه العلامات لا تأخذ معناها الحقيقي إلا إذا تدعمت بالبعد الاستعمالي الذي يخضع للظروف المحيطة بالعملية التواصلية التفاعلية. و تتبين مصداقية هذه الفكرة عند الباث و هو يحاول غنتاج خطاب ملائم للمعطيات المحيطة بعملية تلقي المخاطب (بضم الميم) كما تتبين سلامة هذا المنجى التصوري الموريسي عندما يلجأ المخاطب إلى استثمار و استغلال كل العناصر و الحيثيات و القرائن التي تحف بالإطار التواصلي و تحاصره، رغبة منه في الوصول إلى الفهم و التأويل السليم لما قيل.

---

* لقد جعلت هذه النتيجة المعرفية التي انبثقت من إطار تقسيم موريس للسيمائية و جعله التداولية فرعا منها، إلى إعراض بعض الباحثين عن تبني و موافقة هذا الطرح من مثل الباحث الجزائري نواري سعودي أبو زيد الذي عزف عن تصنيف موريس بحجة أن هذا التصور قد يؤدي إلى إخراج الدراسة التداولية عن سبيلها و جدتها و وجدانها في بن، كما يعتبر أن إدراج التداولية ضمن النظرية السيمائية قد يؤدي بالباحثين العرب إلى اعتبار التدوالية مجالا يندرج ضمن علم العلامات. ينظر المرجع نفسه ص 24.

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ص 56.

مراجع المحاضرة :

- أحمد الوردني، قضية اللفظ والمعنى و نظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن السابع ف/ 13 2، دار الغرب الاسلامي، المجلد الثاني، ط 1 2004، بيروت.
- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط 1 ، الجزائر 2009.
- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 2002
- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ و الإجراء، بيت الحكمة ط 1، الجزائر 2009.
- Charles sedersperise :écrit un le signe , Ed seuil, paris,1978.

المحاضرة السادسة:

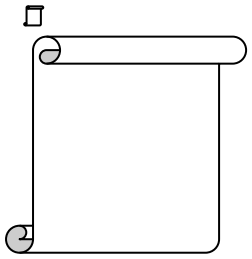

6

الجذور المعرفية الأولى للتداولية (الجزء الثالث)

إسهامات النظريات اللسانية الحديثة:

لقد سيطرت البنيوية بمختلف تياراتها و اتجاهاتها و مدارسه ردحا طويلا من الزمن، وتموضعت في ركع الدراسات اللسانية المهتمة بدراسة و مقاربة و تحليل الظاهرة اللغوية بمختلف أشكالها و صورها، إلا و قد تمر لها ذلك بفضل تلك الدراسات التنظيرية و التعميمات المنهجية التي نبعت من أذن مدارس عتيدة في الفكر اللساني الحديث كتنظيرات دي سوسير التي تعتبر بحق المنبع المعرفي الحقيقي لظهور الطروحات البنيوية، بالإضافة إلى مدارس لسانية أخرى ثقفت هذا المسار في مثل المدرسة الغلوسيماتكية" بزعامة بالمسف، و الوصفية الأمريكية بزعامة " بلوجنيلد" و الباحث " سابير" بالإضافة إلى طروحات العديد من اللغويين و الباحثين في الحقل اللساني من أمثال " رولان بارت" ...

لقد كانت مسألة الانتاجية الأدبية من المنظور البنيوي قائمة على عدم الاعتداء و في مقاربة بالمصدر الفعلي لإنتاج النصوص و الخطايات و هو ما يطلق عليه في الدراسات اللسانية و النقدية لموت المؤلف، لذلك ظهرت أفكار نقدية هامة كان همها الأساسي الآثار الناجمة عن هذا التصور و قد قامت هذه الأفكار على تفنيد أهم مقولة تنظيرية إجرائية انجرت عن سرح البنيوية و

هي استقلال البنية عن كل ما يتبع خارجها و اعتبارها إطارا تحكمه قوانينه الخاصة بمعزل عما سواه و هو ما يطلق عليه مصطلح النسق المحايث.

لقد تمثلت هذه المعاينة الفكرية الثائرة على المنهج البنيوي في عدة اتجاهات و مدارس مختلفة و كان من أهمها السيمائية التي و أبت على الاعتداء بمسألة " تعدد مستويات القراءة في النص الأدبي نتيجة عدم خضوع المعنى لسلطة النظام اللغوي، و هو أساس الفهم البنيوي الذي كان سائدا، مع أنه يمكن في تمسكه بالنظام اللغوي، حين نراجع دوافع البحث و ظروف نشأته في مطلع القرن التاسع عشر[1]"

و من السيمائين الذين كان لهم دور طلائعي لا يستهان به في تحطيم المقولات البنيوية و التوجه نحو الأفق التداولي الاستعمالي نلقي الباحثة و اللغوية جوليا كرستيفا (1924) حيث فندت هذه الأخيرة مفهوم النص المحايث وافتتحت أفقا جديدا من خلال التدليل الذي يقوم على التمييز و الاختلاف و التوزيع التي تمارس داخل اللسان، و يطرح على خط الذات المتكاملة سلسلة حالة تواصلية و نحوية مبنينة، كما فرضت على السيميائيات التحليلية التي تدرس هذه الدلالة اللانهائية و أنماطها داخل النص، تجاوز الدال مع الذات و العلامة و التنظيم النحوي للخطاب[2] للوصول إلى المنطقة حيث تتجمع فيها البذور التي ستدل داخل حضرة اللسان و عليه

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأسيسية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط 1، الجزائر 200، ص 50.

[2] ينظر: واضح أحمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، دكتوراه مخطوطة جامعة وهران، 2012 ص 87.

ينتقل الإعداد في العقل السيمائي من العلامة بوصفها وحدة مستقلة إلى النسق الدلالي الذي ينجر من الملفوظ العام للخطاب.

و على إثر هذا المعطى غدى مفهوم النص عن السيمائين يجاوز مفهوم المنتوج، حيث أصبح فضاء مبسوطا للإنتاجية، باعتبار أن الانصهار و التفاعل بين المنتج و المتلقي أمر لا مناص منه يقع في إطار تواصلي، فتعذر الذات المتكلمة " هي نفسها نص فهي تنقش ضمن العملية الدالة ... كسيمات سيمائية[1]" و هي إحالة إلى العنصر الغالب في تركيب ما يتكلم و ما يقال و ما يلفظ[2]" بالتالي تزحزح وفق هذا الطرح مفهوم النسق المغلق الذي كان مفهومه عند البنيويين يشكل عقيدة وثوقية[3]بالإضافة إلى هذه الدراسات السيمائية التي أخذت على عاتقها السير بالمقاربة اللغوية إلى المنحى الوظائفي، نلقي كذلك حلقة براغ و التي تنسب إلى العالم اللغوي فردناندي سوسير، حيث تأسست عام 1926 في براغ، و كان من بين السمات و المفارقات التي طبعت هذه المدرسة هو تركيزها على الجانب الوظيفي و على السمات المميزة في علم وظائف الأصوات، و على العلاقة بين الأصوات و الصيغ النحوية.

فيرى اتباع هذه الحلقة أنه يجب دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية، أي دراسة الوظائف التي يجب على اللغة أن تصطلح بها باعتبار أن اللغة حقيقة واقعية فعلية، و يحكم نمطها عوامل

---

[1] ج، هيوسلفرمان، نصيات بين الهرمونيطيقا و التفكيكية، ترجمة حسن ناظم و علي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، 2000 ص 263.

[2] المرجع نفسه ص 263.

[3] ينظر: أحمد يوسف، القراءة النسقية و مقولاتها النقدية، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر 2001/200، ص 236.

خارجية غير لسانية، نحو الوسط الاجتماعي السياق، طبيعة المتلقي وعلى اللساني دراستها في ضوء ذلك[1]، وربما كان ذلك سر اعتبار الفونيم قبل كل شيء مفهوم وظيفي إذ أنه حسب هذه المدرسة الوحدة التقابلية الصغرى المجردة التي يسمح التعارض بينها و بين فونيم آخر بالتمييز بين دلالتين فكريتين.

و يتأسس هذا المنحى الوظائفي الذي تبنته هذه المدرسة و سارت وفقه على فكرة جوهرية مثلت التوجه الوظيفي بكل أشكاله و صوره و هو اعتبار اللغة ظاهرة فعلية تهتم ببعض مقومات و آليات اللسانيات الخارجية، الأمر الذي انجر عنه نحو معاربات تشتمل على مبادئ و ميكانومات ذات طابع وظيفي واضح، خاصة فيما عرف لديهم بالصوتيات الوظيفية و ضرورة تجاوز الاهتمام بالكلمة (التي كانت تمثل الوحدة الأساسية في عملية التحليل اللساني عند البنيوية) إلى الاهتمام بالجمل في التحليل لأنها فعل لغوي، و موقف إزاء واقع معين، و يمكن إدراكها بدراسة العلاقة بين المتكلم و السامع[2].

لقد أثرت هذه الموجات الوظائفية الجديدة على مجمل تيارات ما بعد البنيوية، إذا راحت هذه الأخيرة تقارن الأنظمة الفكرية و الفلسفية و اللغوية و الأدبية، آخذة في اهتمامها مسألة البحث عن حقيقة المعنى، الأمر الذي أفضى إلى نتيجة أخرى مهمة تخالف التقاليد اللسانية السابقة و هي ضرورة تجاوز الكلمة، ثم الجملة إلى النص ككل و كذا الاهتمام بظروفه المقامية، و

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 22.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 24-25.

ثم تجاوز الجملة في المقاربات التحليلة، مما أدى إلى خلق مفاهيم و مصطلحات جديدة مثل نحو النص، و الجملة النصية و علم النص بدل نحو الجملة و الجملة المعروفة في اللسانيات[1].

و على إثر هذه الحيثيات المعرفية الجديدة التي تمخضت عن هذه التلاحقات ذات الطابع التنفيذي الموجه للآخر و التنظيرات السابقة، أو كل علم النص لنفسه وصف الجوانب" المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي و أشكال الاتصال[2]، و هكذا راحت المقاربات الجديدة تدعو إلى ضرورة اقتحام و معاينة الخصوصيات العامة و الخواص الفردية و كل صور الأبنية و انواع السياقات و مستويات اللغة و درجات الربط النحوي و الترابطات الدلالية. و بالتالي استيعاب معارف و آليات منبثقة من علوم أخرى تتداخل معه، و كل ذلك قائم على أساس" وجوب تجاوز القدرة و الجملة إلى الاهتمام بالانجاز و النص[3]" .

و منذ منتصف الستينيات أسهم بعض اللسانيين في ارساء ثوابت اللسانيات الوظيفية، التي ركزت و هي تتعامل مع النصوص و الخطابات على الأطر التواصلية و الاستثمار للعناصر الخارج لغوية باعتبارها أساسا متينا و معطى ذو أهمية قصوى لا تقل أهمية عن المعطيات اللغوية كما ركزوا و دافعوا على مقولة حركية التواصل، و توج ذلك بتوضيحهم لديناميكية التواصل في نموذج باكسون حول وظائف اللغة الذي يبدو فيه التواصل ظاهريا ثابتا، بحكم أن الجمل المستعملة لا

[1] المرجع نفسه ص 60.

[2] المرجع السابق ص 60.

[3] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع، المجلد الأول، تونس، 2001، ص 82.

تمثل مجرد كلمات فحسب، بل هي فعل لغوي يدلي بدلوه في سبيل التأثير على الواقع أو قلبه[1]. و عليه برزت إلى الوجود عناصر و مقولات تنبع من مفهوم المجال التواصلي و فكرة الاستعمال كدور المتلقي و الموفق و هدف النص و التفاعل ... و غير ذلك من المصطلحات و المقولات التي أخذت على عاتقها السير بالدراسات اللغوية نحو الرافد الاستعمالي التداولي.

و من هذه المنطلقات الفكرية اللغوية الجديدة، غدى مفهوم الخطاب هو المهمين على مسارات و تنظيرات اللسانيين، حيث نظر إليه باعتبار أنه شبكة معقدة من العلائق و الروابط الاجتماعية و السياسية و الثقافية، يعاد استثماره في أي عملية تحليلية الخطابات[2]، و عليه أصبح التعامل مع النصوص و الخطابات تعاملا بناءا يقبض على صميم مكنونات العمل الانتاجي الذي يتم عن طريق التفاعل التواصلي و جناياه المادية و المعنوية.

و كان من بين الدروس اللسانية التي تأثرت تأثرا إيجابيا في صنع ركائزها بالمنحى الوظيفي، درس النحو الوظيفي، الذي تبلورت مساعيه في سبعينيات القرن الماضي، و يقوم هذا المجال من الدراسة على حقيقة جوهرية مفادها" أن الشروط التداولية هي التي تحدد الخصائص التركيبية الصرفية[3]" بمعنى أن التحليل و الوصف السليم للأنظمة اللغوية بخصوصياتها التركيبية و الصرفية لا يمكن أن يكون بمبادئ على السياق/ المقام و ملابساته المختلفة، و هو ما يضعنا رأسا أمام مقومات الدرس التداولي المعاصر.

---

[1] ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 61.

[2] ينظر : نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الادبين المبادئ و الإجراء، بيت الحكمة، ط 1، الجزائر، 2009 ص 15.

[3] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 61

لقد انبثق الدرس التداولي و خلق في هذه البيئة المعرفية اللسانية مما أفضى على صميمها التنوع و الاتساع و الثراء، و لكن الأمر الضروري الذي لا مناص من ذكره في هذا الصدد، أن التداولية لم تصبح كعلم قائم بذاته إلا في العقد السابع في القرن العشرين بعد مجهودات عدة باحثين و علماء و فلاسفة و لغوسي دلو بدلوهم في سبيل تثبيت أركان هذه الدرس و توطيد جهازه المفاهيم الذي لازال يخضع لحد الآن إلى ممارسات و تنظيرية للملمة شتاته و أطره و آلياته المستمد من عدة روافد معرفية و اختصاصات كما رأينا سابقا.

مراجع المحاضرة :

- أحمد يوسف، القراءة النسقية و مقولاتها النقدية، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر 2001/2002.
- ج، هيوسلفرمان، نصيات بين الهرمونيطيقا والتفكيكية، ترجمة حسن ناظم و علي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، 2000 .
- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأسيسية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط 1، الجزائر 2000.

- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع، المجلد الأول، تونس، 2001.
- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الادبين المبادئ و الإجراء، بيت الحكمة، ط 1، الجزائر، 2009.
- واضح أحمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، دكتوراه مخطوطة جامعة وهران، 2012.

المحاضرة السابعة

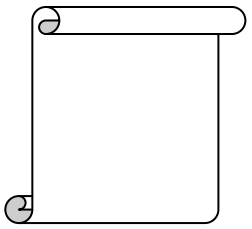

7

التداولية: الحدود و المفاهيم في الفكر التداولي المعاصر:

نظرا لكون التداولية مجال معرفي معاصر مهدت له و انصهرت فيه العديد من الأطر و الاختصاصات المعرفية المختلفة، استعصي الخروج بتعريف جامع مانع لها، يقول فرنسوازأرمينكو في هذا الشأن " التداولية درس جديد و عزيز إلى أنه لا يملك حدودا واضحة تقع التداولية كأكثر الدروس حيوية، في مفترق طرق الأبحاث اللغوية و الفلسفية"[1]

و لكن ببعض التأملات الحصيفة و المعانيات الفكرية الدقيقة لأسوار هذه الدرس المعاصر يمكن الخروج ببعض التعريفات و الحدود المفاهيمية المشكلة لجوهره، و يمكن استلهام هذه الحدود و المفاهيم من خلال استنباط أهم المقومات المشتركة بين التعاريف التي أوكلت للتداولية من طرف عدد لا بأس به من الفلاسفة و اللغويين و الباحثين، و فيما يلي بسط تفصيلي لأهم هذه **التعاريف:**

[1] فراسنواز أرمينكو:المقاربة التداولية: ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، المغرب، 1986، ص 7

عرفت التداولية بأنها المقاربة التي تركز لب عناياتها على " الشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة و ناجحة و ملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم"[1] أي أن الدور المنوط بالتداولية هو تهيئة و رصد و حشد الشروط و الوسائل التي بواسطتها يكون القول ناجحا و مقبولا لدى المتلقي في سياقات و مقامات تواصلية معينة مختلفة في بنيتها الزمانية و المكانية و الحضارية و الثقافية، بالإضافة إلى الأطر النفسية و الاجتماعية التي تعتبر جزءا أصيلا من حالة المتلقين.

و يعتبر فرديناند هالين أن اهم دور مفاهيمي للتداولية يكمن في الطابع التأثيري للأقوال المستعملة على الواقع، يقول في هذا الصدد: " لنضع مقابلة " سويسير" بين اللسان و الكلام موضع السؤال، و لنفرض اعتبار التداولية أن ليس في وسعها أن تكون موضوع دراسة منظمة، لهدف التداولية إلى بلورة نظرية لأفعال الكلام، أي نماذج مجردة، أو مقولات تصدق إلى السلوكيات الملموسة و الشخصية التي ننجزها و نحن نتكلم" [2].

أما جاك موشلارjaque Morschler و آن روبولAnne Rebol فقد عرفا التداولية بانها " دراسة الاستعمال اللغوي المقابلة لدراسة النظام اللساني الذي تهتم به اللسانيات بصفة خاصة"[3] بمعنى أن التداولية انكبت على دراسة الكلام في إطار استعمالاته و سياقاته المختلفة، و هو ما غضت اللسانيات العامة طرفها عنه محكم أنها وجهت لب عنايتها و مقارباتها

[1]صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالميّة لوجمان، القاهرة، ط1، 1996.

[2]Jaque Moeschler, Ane Reboul :Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, Edition du Seuil (1994).p 17

[3]محمود أحمد نحلة:آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.ص 121

لدراسة النظام اللساني في إطاره اللغوي المحايث و البعيد كل البعد عن فكرتا الاستعمال و السياق.

كما نجد تعريفا آخر يحاول التركيز على أهم بعد في التداولية، و هو ان هذه الأخيرة " هي دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية" و وفق هذا الطرح فإن الدراسات و المقاربات التي تعنى بها التداولية تتمركز حول معاينة و استقصاء و صد المعطى الوظيفي النفعي الذي تضطلع له العبارات اللغوية، بحكم أننا لا نتلفظ إلى من أجل غايات و أغراض معينة تخدم تطلعاتنا و أهدافنا القبلية، و هو ما ظهر بعنف و قوة في صميم تنظرات ج. أوستين و ج. سول المتعلقة بنظرية أفعال الكلام، كما سنرى فيما بعد و لكن يجب الإقرار بحقيقة معرفية هاهنا تخص التعريف و هي كون هذا التعريف سيبقى قاصرا على الإحاطة بجوهر التداولية و مفهومها الحقيقي لأنه (هذا التعريف) يحاول" تفسير مظاهر التركيب اللغوي بالإشارة إلى مؤثرات و أشباب غير لغوية، و تعريف كهذا يفشل في تمييز البراغماتية اللغوية عن مجالات كثيرة أخرى مهتمة بالنواحي الوظيفية في اللغة بما فيها علم اللغة النفسي و علم الاجتماعي"[1] .

كما يوجد من المنظرين و الباحثين من يرو أن التداولية هي" دراسة المبادئ التي تفسر سبب اعتبار مجموعة معينة من الجمل شاذة (مخلفة القياس، أو اعتبارها ألفاظا غير ممكنة) و هذه المجموعة قد تشمل: تعال إلى هنا من فضلك، كان أرسطو يونانيا، لكني لا أصدق ذلك، أبناء فرويد هيبيون، و لا أطفال لديه، أبناء فرويد هيبيون و لديه أطفال، آمرك بألا تطيع هذا الأمر، أنا بموجب هذا أغني، كما يعلم الجميع، الأرض أرجوكم تدور حول الشمس [....] جميع هذه

[1]Stephen c. levinson, pramatics, combridge university press, 2010, p 08

الجملة شاذة من ناحية برغماتية، و تفسير الشدود الذي تعرضه هذه الجمل يمكن إيضاحه بالإشارة إلى أنه لا توجد سياقات (عادية على الأقل) يمكن استخدام هذه الجمل فيها"[1] ، و لكن يبقى هذا التعريف عاجزا عن الإحاطة التامة لتعريف التداولية تعريف جامعا ما نقالها و إن كان صائبا و موفقا في إيضاح المبادئ التي تبحث فيها التداولية، و مرد ذلك يعود إلى أنه في الغالب يمكن تخيل سياقات و مواضع يمكن استخدام فيها هذه الجمل المذكورة سالفا و التي يزعم أنها شادة.

و من بين التعاريف التي نلقيها ها هنا، أن التداولية " مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، و طرق و كيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، و السياقات و الطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، و البحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة و ناجحة و البحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية" [2]و وفق هذا الطرح فإن التداولية مجال معرفي يقوم على معاينة و تفسير العلاقة القوية التي يتجمع بين العلامات المستخدمة في الخطابات و بين مستعمليه في السياقات المختلفة، مع البحث عن الاستراتيجيات المناسبة التي تجعل الأقوال مقبولة و ناجحة في بعدها التواصلي، و في هذا الملمح دلالة صريحة و واضحة على ضرورة الأخذ بالمعطى السياقي و اعتباره من الأولويات القصوى التي يجب الأخذ بها عند التعامل البراغماتي مع النصوص و الخطابات، يقول الدكتور محمد عنافي: " التداولية هي

[1] حافظ إسماعلي علوي وآخرون، التداوليات علم إستعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص 67

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في الثراث اللساني العربي المعاصر دار الطليعة بيروت، ط 1، 2005، ص 5

دراسة استخدام اللغة في شتى السياقات و المواقف الواقعية، أي تداولها عمليا، و علاقة ذلك هي يستخدمها، و هذا يعني أن السياق جاء بعدا جوهريا في التداولية و دخل في تعريفها"[1] .

كما يعتبر فرنسيس جاك Francis Jaque أن التداولية ذات مظهر خطابي، تواصلي و اجتماعي معا[2]، فكل المظاهر الثلاثة بمثابة عناصر فعالة توعي عملها و هي منصهرة و متلاحمة فيما بينها من منطق أن البنية الاجتماعية تؤثر على الأطر التواصلية المنتمية لها، و يلعب هذا الأخير) الإطار التواصلي) دورا هاما في فرض إملاءات استراتيجية لتشكيل خطابه تشكيلا مقبولا و ناجحا يؤدي في نهاية المطاف إلى خدمة الاهداف و الغايات التي انتج الخطاب من أجلها.

أمام هذه التعريفات التي أوكلت للتداولية، يمكن استنباط بعض المعالم و الأسس و المقومات المكونة لهذا الدرس المعاصر و إطاره المفاهيمي، حيث تكررت هذه المعالم في معظم التعاريف التي أوردناها، و يمكن تلخيصها فيما يلي:[3]

دراسة استعمال اللغة: أي الكفيلة التي تستعمل فيها اللغة في التواصل، بمعنى البحث عن الشروط التي تقنن الاستعمال اللغوي و تضمن له النجاح و الفعالية.

---

[1] علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب الطبعة الأولى القاهرة، 2010، ص4

[2] فراسنواز أرمينكو:المقاربة التداولية: ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، المغرب، 1986، ص 8

[3] علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب الطبعة الأولى القاهرة، 2010، ص4

علاقة اللغة بالسياق: أب علاقة اللغة بالحيثيات و المعطيات المؤطرة للاستعمال اللغوي، حيث على المتكلم استثمار هذه الأخيرة في بناء استراتيجية خطابية ملائمة للحدث التواصلي، عكس الدراسات التقليدية اللغوية، التي ركزت لب عنايتها على المرجع و قواعد النحور...

كيفية اكتشاف المتلقي مقاصد المتكلم: بمعنى مقاربة الأغراض و المقاصد التي يريد المتكلم إيصالها للمتلقي، أي التأويل السليم لعبارات اللغة الطبيعية.

التعامل مع علاقة العلامة مؤولوها: بمعنى أن المسؤولية المنوطة بالتداولية في إبراز تلك العلاقة المعنوية التي تربط بين النشاط اللغوي العلاماتي بالمستعملين و ما يعاصرهم من معطيات و حيثيات نفسية و اجتماعية و حضارية ... إلخ ، إلى جانب تحليل عمليات الكلام و وظائف الأقوال.

و في ظل هذا الطرح، فإن التداولية شكلت لنفسها سبيلا و منهجا معرفيا يخالف في أطره العامة تلك المفاهيم، و المقولات التقليدية التي سادت في الفكر البنيوي، إذ راحت بمدارساتها ومقارباتها التنظيرية و الإجرائية، نحو فكرة الاستعمال و اعتبرتها بمثابة قطب الرحى الذي يمثل الصميم و الجوهر الأصيل لدراسة الظاهرة اللغوي.

يقول الباحث مسعود صحراوي في هذا الصدد" التداولية ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف و تفسير البنى اللغوية و يتوقف عند حدودها و أشكالها الظاهرة،

و لكنها علم جديد في التواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، و يدمج – من ثم- مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي و تفسيره"[1] .

كما يمكن القول أن النظرية التداولية تدرس استعمال اللغة عوضا عن دراسة اللغة (النظام اللغوي) كالاهتمام بالمستوى الصوتي و الصرفي و التركيبي و الدلالي و اعتبار النص عملا محايثا مغلقا[2]، لا يملك أي علاقات معنوية و مادية أو وظيفية مع المقامات المؤطرة للنصوص و الخطابات و الاحداث الكلامية.

أمام هذه الكلية لمحمل ما ذكر حول تعريف مصطلح التداولية تنصهر و تتفق بأنها مقاربة لغوية تهتم بتحدبد العلاقة بين اللغة و مستعمليها، و لذا يمكن القول: إن أوجز تعريف للتداولية هو: " دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل"[3] ، و كل هذا من أجل وضع قوانين للحوار، و لتحقيق هذا المبتغى المعرفي تتبع مرتكزات إجرائية كالمقام الذي يؤطر العملية الانتاجية للكلام، و بحثها عن قصد المتكلمين و درجة تأثيرهم و قلب قناعات المتلقين ...

كما أننا نجد بالإضافة إلى هذه المعالجة النوعية التي اختصت بها التداولية، مهمة معرفية و منهجية أخرى تتمثل في نقلها الاهتمام من اللغة المجردة إلى اللغة الواقعية المستعملة من قبل

---

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في الثراث اللساني العربي المعاصر دار الطليعة بيروت، ط 1، 2005، ص 16

[2] Jean Duboi :Dictionnaire de linguistique et des sciences du language, Larousse, BORDAS, Paris, 1999.-443 444

[3] محمود أحمد نحلة:آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.ص 14

المتكلمين في سياق معين، الأمر الذي أدى إلى إثراء المنظومة التداولية بمقومات ذات بعد إنجازي بالدرجة الأولى[1].

إن هذا البعد (الإنجازي) لا يتمظهر إلا من خلال عقد الصلة بين المعنى المتحصل عليه و موقف الكلام، الذي لا يخرج عن محطات اساسية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر[2]:

المخاطبين (فتح الطاء) و المخاطبين (كسر الطاء): و يتمثلون في المتحدثون و المستمعون، و ينبغي التمييز بيت المتكلم و المخاطب، فالأول يقوم بإنتاج الكلام و إرساله، و الثاني يقوم باستقبال و تأويل الرسالة.

سياق التفوه: و يتطلب هذا الأخير الإلمام بالظروف و الملابسات و الحيثيات المصاحبة للحدث الكلامي و الاهتمامات التي تساور ذهن المتلقي، بمعنى آخر ضرورة معرفة هوية المتكلم و المتلقي و الإطار الزماني و المكاني للحدث اللغوي.

هدف التفوه: يقوك منهج التداولية على معانيه و رصد استقصاء الهدف أو الوظيفة بدلا من المعنى السطحي الظاهر.

الفعل الإنجازي: و هو المعنى اللإضافي في القابع خلف المعنى الأصلي، و هو ما يتجلى في مفهوم النقل الكلامي عند ج. أوستين و ج. سورل.

التفوه بوصفه نتاجا: إن التداولية تنظر إلى الألفاظ في إطار عمله الإنتاجي من طرف مستعمل اللغة، أي أنها تهتم بدراسة فعل التلفظ بدلا من فعل اللفظ ذاته.

[1]ينظر عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص 07
[2] ينظر واضح أحمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي، من القرن 3 إلى القرن 7 ه دكتورة مخطوطة، جامعة وهران، 2012

مراجع المحاضرة :

- حافظ إسماعلي علوي وآخرون، التداوليات علم إستعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010،
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالميّة لوجمان، القاهرة، ط1، 1996.
- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006.
- علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب الطبعة الأولى القاهرة، 2010.
- فراسنوازأرمينكو:المقاربة التداولية: ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، المغرب، 1986.
- محمود أحمد نحلة:آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في الثراث اللساني العربي المعاصر دار الطليعة بيروت، ط 1، 2005
- واضح أحمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي، من القرن 3 إلى القرن 7 هـ دكتورة مخطوطة، جامعة وهران، 2012

- JaqueMoeschler, Ane Reboul :Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, Edition du Seuil (1994).p 17
- Stephen c. levinson, pramatics, combridge university press, 2010.
- Jean Duboi :Dictionnaire de linguistique et des sciences du language, Larousse, BORDAS, Paris,

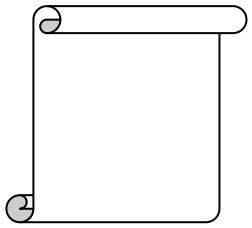

المحاضرة الثامنة

8

البعد التواصلي للتداولية

تجاوزت التداولية أدبيات المدارس اللسانية التقليدية و لاسيما ما تلعق منها بالبنيوية و تياراتها، وقد ظهر هذا المقتضى التصوري بعنف حين شحبت و فندت التداولية أهم مقولة قامت عليها التيارات و الاتجاهات السائدة، و التي كانت توحي بدراسة اللغة كنظام لساني يدرس ذاته و لذاته و راحت إلى اللغة بوصفها نظاما للتواصل و مقتضياته كدراسة أفعال الكلام و أشكال الاقناع وشروط تحقيق الخطاب الاقناعي و تحليله مركزة في كل هذا على عامل المقام و حيثياته الدنيامية. لينفتح لها فضاء مبسوط فعال كمادة الأفق التواصلي بكل أبعاده و قيمه، و هو ما من خلال هذه السطور المعرفية.

لقد دأبت اللسانيات التقليدية في إطارها البنيوي على تطوير نظرية النص المنظور إليه يعده منجزا أو عملا مغلقا close[1] أي أنها انكبت عليها تحديد بنيته الداخلية، و مكوناته اللفظية اعتمادا على رؤية ضيقة قوامها ان النص لا يحيل على شيء خارج بنيته الداخلية، كما أقصت و همشت البعد المقامي (السياقي) و البعد الاستعمالي للغة في إطار عملها التواصلي و كل العناصر و

[1] Jeau delois : dictionnaire de linguritique et des sciences du lauguge larousse bords, paris, 1999, p 433-444.

الحيثيات و المعطيات المعنوية والمادية (القرائن) التي من شأنها تفعيل العمليات التخاطبية/ التواصلية و نجاحها.

و قد كان الثمن باهظا و بعيدا عن الإيجابية التي تنشدها المدارس اللغوية، حيث سقطت كل الرهانات الفكرية في الغموض و اللبس لاسيما ما تعلق بالمقاربات المنوطة بالقصدية و تمظهراتها و الأبعاد الضمنية للأعمال الادبية، و مرد ذلك هو الاجحاف بحق الجانب الوظيفي للغة و أبعادها التواصلية يحكم أن كل خطاب لا يعنى فيه ملفظه بمرحلة التركيب هو أمر بالغ الخطورة، إنه يؤدي إلى زرع لغة لا يفهم معناها أي متلقي، باعتبار أن الخطاب في أسمى معالمه بناء لغوي، بيد أن الاستعمال هو ما يجعل الخطاب يتسم بالفعالية و الحركية.

و عليه، يمكن القول أن المنهج التداولي كان بمثابة بديل حتمي أماه اليسار التاريخي اللساني، فما هو الباحث اللغوي" قولف جانح في كتابه مدخل إلى علم لغة النص، يعتبر أن من أهم الأسباب المعرفية التي دفعت المنهج التداولي إلى البزوغ و السيطرة على ميادين الدراسة اللسانية: ظهور مشكلات جديدة في الممارسات اللغوية، تحتاج إلى نوع جديد من الدراسة المتحررة من قيود المقاربات التقليدية المهتمة بالنظام اللغوي دون سواه، مثل التوثيق، المعالجة الآلية للمادة اللغوية، اكتساب اللغة، تعليم اللغة، الترجمة، التوجيه اللغوي، العلاج باللغة، تأثير اللغة في الاتصال اليومي[1].

[1] ينظر: خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية، مع محاول تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة ط 1، الجزائر، 2009، ص 45.

إن هذه الحقيقة المعرفية، هي التي دفعت بالدرس التداولي إلى دراسة " المنجز اللغوي في إطار التواصل، و ليس بمعزل عنه لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه، فليست الوظائف مجردة و بما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز[1]" هذا من جهة و كذا التلقي الهادف الذي يستمر كل مقومات و حيثيات الإطار التواصلي في سبيل القبض على القصدية التي خلق النص من أجلها.

إن تهميش الدراسات اللغوية التقليدية للأطر التواصلية و أبعادها الوظيفية الاستعمالية، قد أبرز عدة مشكلات في التحليلات اللغوية الشكلية، و لهذا السبب يرى العديد من الباحثين أن في المنهج التداولي حلا للعديد من هذه المشكلات، من خلال إثارة مجموعة من الأسئلة و محاولة الإجابة عنها و من بينها: " ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا؟ من يتكلم مع من؟ من يتكلم و من أجل من؟ ماذا علينا أن نعمل حتى يرتفع الإبهام عن جملة؟ ماذا يعني الوعد؟ كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله؟ هل يمكن أن نركز إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟ أي مقياس يعد قدرة الواقع الإنساني اللغوية"[2] .

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، ط 1، ليبيا 2004 ص 23.

[2] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط 1986، ص 07.

مراجع المحاضرة :

- خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية، مع محاول تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة ط 1، الجزائر، 2009.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، ط 1، ليبيا 2004 .
- Jeaudelois : dictionnaire de linguritique et des sciences du laugugelarousse bords, paris, 1999.

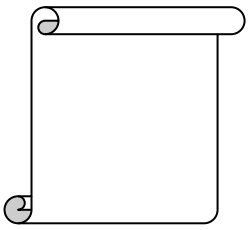

المحاضرةالتاسعة

9

– معالم نظرية الافعال الكلامية عند روادها :

–ظهر أثر "نظرية الألعاب" أو "الاستعمال"، أول ما ظهر في مدرسة "كمبريدج" ومدرسة "أوكسفورد"، وخاصة في أعمال الفيلسوف "جون أوستين" J. Austime، ولاحقا في أعمال الفيلسوف الأمريكي "سورلSearle.

–أوستين والفعل الكلامي: يعتبر جون أوستين مؤسس هذه النظرية، وواضع المصطلح الذي تعرف به الآن في الدراسات الفلسفية واللغوية المعاصرة. وتمثل ذلك في المحاضرات الإثنا عشر التي ألقاها في جامعة "هارفارد" Harvard سنة 1955، ونشرت سنة 1962 في كتاب عنوانه "How to do thinkwithwords"، والذي ترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1970 إلى "Quand dire, c'est faire"[(1)].

[1]« On admet généralement que la publication, 1962, de l'ouvrage de J. L. Austine. How to do think with words (ouvrage regroupant les douze conférences en 1955 par la philosophie anglais a l'université Haward) Constitue le véritable acte de naissance de cette théorie, traduit en Français par Quand dire, c'est faire » voire Patrick charaudeau. Dominique Maingueneuv. Dictionnaire Analyse du discoure édition du seuil, Février 2002 Paris, VI^{ème}, P 16.

لقد كانت نظرية الأفعال الكلامية بمثابة الموقف المضاد للإتجاه السائد بين فلاسفة الوضعية المنطقية Logiqualpositivism، الذين كانوا يعتبرون أن للغة وظيفة واحدة تنحصر في رسم ووصف وقائع العالم State of affaires وصفا يكون إما صادقا أو كاذبا حيث أطلق أوستين على هذا مصطلح المغالطة الوصفية descritptivefallacy باعتبار أن هناك العديد من العبارات التي تشبه العبارات الوظيفية في تركيبها ولكنها لا تصف وقائع العالم ولا يمكن أن ينطبق عليها معيار الصدق والكذب[1].

-وبهذا؛ قد أظهر أوستين أن للأقوال اللغوية بعدا آخرا، يتمثل في البعد أو النشاط الاجتماعي، وهو بعد أساسي في نظره بالنسبة لوظائف اللغة، فدورها لا ينحصر في نقل الأخبار ووصف الوقائع وتوصيل المعلومات إلى المتلقي عن طريق علامات صوتية، بل إن هناك في اللغة أفعالا تنجز وتحقق ما تحمله من معان ودلالات بمجرد التلفظ بها.

-وفي السياق ذاته يقول جاك موشلارJ. Moeshler، وأنطوان أوشلن A. Auchlin في كتابهما " Introduction à la linguistique contemporaine": "ترتكز نظرية أفعال الكلام على الثورة ضد الفكرة القائلة أن وظيفة اللغة هي وصف العالم –الإيهام الوصفي- وأن كل الملفوظات التقريرية تقوم على ثنائية الصدق والكذب، فالعكس من ذلك: إن وظيفة اللغة هي التأثير على الواقع، والسماح لمن ينتج

[1] ينظر محمود احمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 43.

الملفوظات إنجاز هذا الفعل، وفي هذه الحالة لا تخضع الملفوظات لثنائية الصدق والكذب"[1].

وعلى هذا الأساس تصبح نظرية أفعال الكلام الأوستينية بمثابة الضربة القاضية التي حطمت رؤى المناطقة والفلاسفة الوضعانيين الذين ركزوا جل اهتمامهم في دراسة المعنى في إطار ما عرف "بالمعنى القضوي" للجملة التقريرية الخبرية، وهي الجملة التي يمكننا الحكم عليها قضويا بالصدق أو الكذب، دون إعطاء أدنى اعتبار للأنماط الأخرى من الجمل.

-وعلى هذا الأساس، يظهر تأثر أوستين الجلي بما نبه إليه فتغنشتاين من أن للغة وظائف أخرى، على غرار الوظيفة الوصفية الإخبارية التي تخضع الملفوظات لمعيار الصدق والكذب، ويعود هذا، لسبب أساسي، كما تقول أوركيونيCatheine Kerbrat Orecchioni، مفاده "أن عددا كبيرا من الملفوظات المنتجة في اللغات الطبيعية لا ينطق عليها هذا المعيار (الصدق والكذب)، مثل الأسئلة والأوامر..."[2].

-وقد عمد أوستين في البداية، إلى تمييز نوعين من الأقوال؛ حيث أطلق على النوع الأول مصطلح الأقوال الإنجازيةPerformative locution. "وهو الملفوظ المرهون ببعض شروط

[1] « La théorie des actes de langage se fonde sur une opposition à "l'illusion descriptive" qui veut que le langage ait pour fonction première de décrire la réalité et que les énonces affirmatifs soient toujours vrai ou faut. Selon la théorie des actes de langage, au contraire, la fonction du langage est tout autant d'agire sur la réalité et permettre à celui qui produit un énonce d'accomplir, ce faisant, une action. Dans cette optique, les énonces ne sont ni vrai ni faut » Jaque Moeshler – Antonie Auchlin, Introduction à linguistique contemporaine, Deuxième édition, Armande Colin /Her, Paris 1997-2000, P 135.

[2]« ... Car un grand nombre des énoncés produit en langue naturelle échappe à cette problématique du vrai et du faux. Comme les questions ou les ordres,.. ». Catherine Kerbrat – Orechioni : Les actes de langage dans le discours. Théorie et fonctionnement, édition Mathan / Vuef, 2001, Paris, P 09.

النجاح التي تحقق الفعل الذي تسميه"[1]، أي إنجاز ما قيل عن طريق التلفظ فاللغة تشتمل على أسئلة وعبارات تعجب وأوامر وتعابير خاصة بالوعود والأمنيات والترغيب والتشجيع والترهيب..، بينما أطلق على النوع الثاني مصطلح الأقوال التقريرية Constative locutions وهي الأقوال الخاضعة لمعيار الصدق والكذب، مثل الملفوظ: افتح الباب...، فهذا ملفوظ إما صحيح أو خاطئ، وتحقيق الفعل مستقل تماما عن تلفظ الجملة، وبالتالي يصبح هذا الملفوظ تقريريا (Constatif)"[2].

-غير أن أوستين استخلص لاحقا عدم دقة هذا التمييز، ذلك أن الأقوال التقريرية، غالبا ما تعمل هي الأخرى على إنجاز فعل الإخبار، وبالتالي: فإن كل ملفوظ خبري يتضمن فعلا إنجازيا، نقول مثلا: السماء صافية، وبما أن "أقول" فعل إنجازي فإنه ينقل الجملة من الخبر إلى الإنجاز، ويتحدد نوع الملفوظ من خلال الفعل الذي يظهر فيه (يعمل فيه) على الشكل التالية:

أ-أفعال إخبارية، مثل: كتب / قرأ.

ب-أفعال إنجازية، مثل: أقول، أرفض / أقبل"[3].

---

[1] « Un énoncé performatif est énoncé qui sous réserve de certaines conditions de réussite, accomplit l'acte qu'il dénomme ... » Ibid p 09.

[2] J'ouvre la porte ... je dirai que l'énoncé est vrai ou faux, mais l'accomplissement de l'action est totalement indépendant de l'énonciation de la phrase... l'énoncé est constatif.., Voir Ibid, P 09.

[3] ينظر: عادل التامري، التداولية ظهورها وتطورها: www/elaph. Com.

-أمام هذه العتبات المتشكلة، أشار أوستين إلى إمكانية فشل الأقوال الإنجازية وعدم تحققها، مستخدما حيالها معيارا مختلفا عن معيار الصدق والكذب، فهي إما أن تكون "موفقة" Happy، وإما أن تكون "غير موفقة" Unhappy"[1]، وقد وضع شروطا لتحقق الأقوال الإنجازية، وقسم هذه الشروط إلى قسمين: شروط تكوينية وشروط قياسية.

-فأما الشروط "التكوينية" فهي[2]:

1-وجود إجراء عرفي Conventionnel procédure مقبول، وله أثر عرفي معين.

2-أن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة ينطق بها أناس معينون في ظروف معينة.

3-أن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء.

4-أن يكون التنفيذ صحيحا.

5-أن يكون التنفيذ كاملا.

وأما الشروط "القياسية": Régulative فهي

1-أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في أفكاره.

[1] ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 44.
[2] ينظر المرجع نفسه، ص ص 45/44.

2-أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في مشاعره.

3-أن يكون المشارك صادقا في نواياه.

4-أن يلتزم بما يلزم نفسه به.

-وقد اعتبر أوستين الشروط الأولى (الشروط التكوينية) مهمة مقارنة بالشروط القياسية، ذلك أن الأولى إذا تحققت كانت فعلا أدائيا موفقا، وإذا لم تتحقق كان ذلك إيذانا بـ"إخفاق الأداء" Misfire. أما بالنسبة للثانية (الشروط القياسية) فهي ليست ضرورية لإنجاز الفعل؛ بل لإنجازه إنجازا موفقا غير معيب، أي أنها إن لم تحقق نتج "إساءة" أداء الفعل Abuse[1].

-بعد هذا توصل أوستين إلى تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية:

1-فعل التلفظ: Locutionaryact: وهي تلك الألفاظ التي تنتمي إلى جمل سليمة نحويا وذات دلالة معينة[2]. بمعنى أن فعل التلفظ هو تلك الأصوات التي يخرجها المتكلم، والتي تمثل قولا ذا معنى معين.

2-فعل قوة التلفظ Illocutionaryact: "وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يمكن خلف المعنى الأصلي"[1] أي أنه متعلق بالوظائف التي تنتج من أي صيغة كلامية كالوعد والسؤال والاستفهام...الخ.

[1] ينظر: أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 44.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 45.

3-فعل أثر التلفظ Perlocutionaryact: بمعنى التسبب في نشوء آثار في العواطف والأفكار كالإقناع والإرشاد[2]، أي أن الكلمات التي ينتجها المتكلم في بنية لغوية منتظمة محملة بمقاصد معينة في سياق محدد تعمل على تبليغ رسالة، وتحدث أثرا عند المتلقي أو المستمع.

-كما قدم أوستين تصنيفا للأفعال الكلامية، معتمدا في هذا التصنيف على معيار "القوة الإنجازية" Ilocutionary force، وهي:[3]

1-أفعال الأحكام Verdictives: وهي تلك الأحكام التي تصدر من القضاء والحكام.

2-أفعال القرارات Exertives: وهي تلك القرارات المتخذة، مثل: الطرد والإذن...

3-أفعال التعهد Commisives: وتتمثل في تعهدات المتكلم بإنجاز فعل معين، ومن أمثلتها: الوعد والضمان والتعاهد...

4-أفعال السلوك Behabitives: وهي ردود الأفعال الناتجة لحدث أو مثير ما، كالاعتذار والشكر.

---

[1] المرجع نفسه، ص 45.

[2] ينظر: محمود صحراي، التداولية عند العلماء العرب، ص 42.

[3] ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 46.

5-أفعال الإيضاح Expositives: وهي تستخدم إيضاح وجهات النظر والآراء، مثل: التصويت والموافقة والتشكيك.

-كما بين أوستين أن كل فعل كلامي يقوم على مفهوم القصدية، ويقوم هذا المفهوم على أبعاد ومرتكزات تداولية، كانت مجل اهتمام الفلاسفة التحليليين والتداوليين على حدٍّ سواء، وقد نشأ عن هذا الاهتمام والدراسة مجموعة من المفاهيم المتراسّة المترابطة[*]"[1].

-وتجدر الإشارة والتذكير إلى أن جهود أوستين، لم تكن كفيلة وحدها بوضع نظرية كاملة متكاملة للأفعال الكلامية، وإنما كانت جهوده وإسهاماته بمثابة البذرة الحاملة للأسس المنهجية الأساسية لهذه النظرية، بصيغة أخرى: إن أعمال أوستين كانت بمثابة نقطة انطلاق مهدت ويسرت السبيل أمام باحث آخر (J. Searl) "سورل"، عمل هو الآخر على تطوير هذه النظرية.

---

[*] ومنها على الخصوص:

- مبدأ الفضاء المزدوج لتمظهرات فعل اللغة Double espace de la Mise en scène de l'acte de langage

- مبدأ الاستراتيجية .....Principe de la stratégie–

- الصريح والضمني .....Explicité et implicité–

- نمط تنظيم الخطاب Modèle d'organisation du discours– ينظر مسعود صحراوي، ص 44.

[1] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 44.

مراجع المحاضرة:

- عادل التامري، التداولية ظهورها وتطورها: consulté le .www/elaph. Com 04/02/2016
- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفية الجامعية، مصر 2002.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تدوالية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة و النشر، بيروت، ط 1، تموز يوليو 2005.
- Patrick charaudeau. Dominique Maingueneuv. Dictionnaire Analyse du discoure édition du seuil, Février 2002 Paris, VI^{ème},
- Jaque Moeshler – AntonieAuchlin, Introduction à linguistique contemporaine, Deuxième édition, Armande Colin /Her, Paris 1997-2000
- Catherine Kerbrat – Orechioni : Les actes de langage dans le discours. Théorie et fonctionnement, édition Mathan / Vuef, 2001, Paris

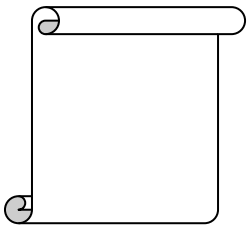

المحاضرةالعاشرة

10

سورل ونظرية الأفعال الكلامية

– اعتبر "سورل" أن أي ملفوظ لساني يعمل كفعل محدد (أمر، سؤال، وعد...الخ)، أي يساهم في إنتاج بعض الآثار، ويخلف بعض التغييرات في الموقف التواصلي، كما اعتبر أن المكون الأساسي للملفوظ الذي يمنحه قوته هو القوة الإنجازيةillocutionary force، إن هذه القوة تطبق وتضاف إلى المحتوى القضوي للملفوظ"[1].

–وفي هذا الملمح، تؤكد "أوركيوني" K.K. Orreuhioin هذا الطرح بإعطائها الأمثلة التالية[2]:

[1]« Comme Austin, Searl considère que tout énoncé linguistique fonctionne comme un acte particulier (Ordre, question, promesse, etc), C'est-à-dire qu'il vise à produire un certain effet et à entraîner une certaine modification de la situation interlocutive. Il appelle illocutionary force (en français force illocutoire) la composante de l'énoncé qui lui donne sa valeur d'acte. Cette force illocutoire vient s'applique et au contenu proportionnel de l'énoncé ». Catherine Kerbat Orrecchioni. Les actes de langages dans le discours. Théorie et fonctionnement, P 16.

[2]« En ce qui concerne par exemple les quatre énoncés suivants :

1-Jean Fume beaucoup.

2-Jean Fume-t-il beaucoup ?

3-Fume beaucoup, Jean !

4-Plût au ciel que Jean Fumât beaucoup !

1-جون يدخن كثيرا.

2-هل يدخن جون كثيرا؟

3-دخن كثيرا ياجون !

4-يا ليت جون يدخن كثيرا !

-تؤكد أوركيوني أن لهذه الملفوظات الأربع نفس المحتوى القضوى أي نفس المحمول (كثرة التدخين)، ونفس الموضوع (جون)، ولكن في المقابل لا تحمل نفس القوة الإنجازية؛ ففي الملفوظ الأول يلاحظ أي قوله تتمثل في التقرير أما الملفوظ الثاني فتتمثل قوته الإنجازية في السؤال، وبالنسبة للثالث: فإن قوته تتمثل في الأمر، أما الملفوظ الرابع فإن قوته الإنجازية تكمن في التعبير عن التمني.

-كما عمد سورل، إلى اعتبار الفعل الإنجازي أنه يمثل "الوحدة الصغرى" للاتصال اللغوي Minimal Unit، وأكد من جهة أخرى: أن القوة الإنجازية تتضمن دليلا سماه "دليل القوة الإنجازية" Illocutionary Force Indicator، وتساهم هذه الأخيرة في رفع الإبهام عن نوع الفعل الإنجازي الناتج عن أي جملة يتلفظ بها متكلم معين، ويتمثل في اللغة الإنجليزية في نظام الجملة Word - order والنبر Stress، والتنغيم Intonation، وعلامات الترقب

-On dira qu'ils ont le même contenu propositionnel (Constitué de l'attribution du prédicat « Fumer beaucoup » à l'objet auquel réfère « Jean », mais qu'ils s'opposent quant à leur force illocutoire (respectivement d'assertion, de question, d'ordre et d'expression d'un souhait) ». Voir Ibid, P 16.

ponctuation في اللغة المكتوبة، وصيغة الفعل Mood، وما يسمى الأفعال الأدائية Performative"[1].

-يرى سورلJ. Searl في كتابه أفعال الكلام Speeachact 1969 أننا نقوم بأربعة أفعال حين ننطق بجملة أو نتلفظ بقول ما:

1-التلفظ بالكلمات (جملا ومورفيمات): أي إنجاز فعل ما وهو ما يسميه "الفعل التعبيري"، يقول سورل: "إنني أسمي فعل قول شيء ما بالمعنى العادي التام، أداء للفعل التعبيري، وأسمي دراسة المنطوقات حتى هذه النقطة، ومن هذه الجوانب، باسم دراسة التعبيرات أو الوحدات التامة للكلام"[2].

2-الفعل القضوي: ويتم ذلك بإسناد الكلمات إلى بعضها وإحالتها على مراجعها[3].

3-الفعل الغرضي: "وهو الفعل الذي يحدد الطريقة التي نستعمل بها التعبير، مثل: هل نسأل أو نجيب على السؤال؟ هل نعلن عن رأي أم قصد؟ هل نضع تحديدا أم اتهاما أم نقدا؟....الخ"[4] وبهذا يكون الفعل الغرضي، تلك المساحة التي تبرز من خلالها اعتبارات استعمال اللغة.

---

[1] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 47.

[2] الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، ص 108.

[3] عبد السلام إسماعيل العلوي. التلفظ والإنجاز، www.fikrnanakd.eljabiriabed.com.

[4] الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، ص 108.

4–الفعل التأثيري: وهو المفهوم الذي يجسد النتائج والتأثيرات التي تحدثها الأفعال الإنجازية السابقة على أفكار ومعتقدات المستمع، وعلى سبيل المثال: "ربما يقنع شخصا معينا أن شيئا حقيقة واقعة؟، أو يحث شخصا معينا لأداء شيء ما..."[1] بمعنى أن هذا المفهوم لا ينفصل مع مفهوم قوة التلفظ، بل يلازمه. وبهذا يفعل أو ينجز المرء شيئا عن طريق القول.

–بالإضافة إلى هذا، مَيَّزَ "سورل" بين نوعين من الأفعال الكلامية:

1–الأفعال الكلامية المباشرة: وهي الأفعال: "التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أي يكون ما يقوله مطابقا لما يعنيه"[2]، بمعنى أنَّها تشمل الأقوال التي تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول.

2–الأفعال الكلامية غير المباشرة: فهي: "التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم"[3] أي هي الأقوال التي لا تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول. وفي هذا الصدد يذكر سورل المثال التالي: إذا قال رجل لرفيق له على المائدة: هل تناولني الملح؟، إن القوة الإنجازية الأصلية في هذا الملفوظ تدل على الاستفهام الذي ينتظر جوابا، ذلك أنه مصدر بدليل الاستفهام "هل". ولكن الاستفهام غير مراد المتكلم، بل هو طلب مهذب يؤدي فعل إنجازي مباشر هو:

---

[1] المرجع نفسه، ص 108.

[2] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50.

[3] المرجع نفسه، ص 50.

ناولني الملح. وبالتالي نستنتج أن هذا الملفوظ هو فعل إنجازي غير مباشر"[1].

-ويقدم سورلاقتداءا بأوستين جملة من الشروط المتعلقة بنجاح الإنجاز يتجاوز فيها تصور الشروط التي قدمها "أوستين"، فالإنجاز حسبه لا يتحقق إلا باستيفاء بعض المبادئ التي يعتبرها ضرورية هي:

1-شروط المحتوى القضويPropositionnel content: "وهو يتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي (نسبة إلى القضية Proposition التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع Référence، ومتحدث به أو خبر Prédication والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية"[2]، بمعنى أن هذه المكونات ذات العلاقات الإنسانية هي التي تؤطر وتحكم المحتوى القضوي لأي صيغة لغوية أو (فعل كلامي).

2-الشرط التمهيدي Preparatory: ويتم هذا الشرط: "إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل، لكن لا يكون من الواضح عند كل من المتكلم والمخاطب أن فعل المطلوب سينجز في المجرى المعتاد للأحداث أو لا ينجز"[3]، أي أن يكون المتكلم في الوضع الذي يؤهله الإتمام الإنجاز، ويتحقق هذا من خلال مراعات الظروف المحيطة بعملية إنتاج الكلام.

---

[1] ينظر المرجع السابق، ص 51.

[2] نفسه، ص 48.

[3] نفسه: ص 48.

3–شرط الإخلاص Sincerity: ويتم تحقيق هذا الشرط "حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادرا على فعل ما لا يستطيع"[1]. أي أن ينوي المتكلم إنجاز الفعل الذي تسنده له القضية المطروحة.

4–الشرط الأساسي Essential: ويتم تحقيقه "حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل"[2]. أي أن يقصد المتكلم أن يلزمه تلفظه القيام بالفعل مناط التلفظ.

–وأمام هذه العتبات المتعلقة بنظرية أفعال الكلام، التي أرسى دعائمها "أوستين"، وثبت معالمها "سيورل" بالتعديل والتفصيل والتطوير، حدث منعطف عميق غير مسار أفق الدراسات اللسانية؛ إذ أصبحت اللغة وفق هذا المنظور فضاءا مبسوطا للإنجاز والممارسة والفعل يتم عن طريق التلفظ أثناء العملية التواصلية التفاعلية، ويسهم هذا الطرح الجديد في تأكيد فكرة جوهرية مفادها أن وظيفة النطق أو التلفظ الذي يجسد إنجاز الفعل هو تمثيل للفكر أو "المقصدية" التي تكتنف أي عبارة لغوية، باعتبار أن أي عملية إنتاجية للكلام تعمل من أجل تحقيق غايات وأهداف معينة. وبذا يمكن اعتبار أي فعل كلامي أنه فعل ذو بعد مقصدي.

–إن هذا البعد، كان محط اهتمام الفلاسفة اللغويين، من خلال محاولة إرساء بعض النظريات التي تؤدي فعل الإدراك الصحيح وتأويل المعنى المراد والوصول بالتالي إلى مقصدية المتكلم

[1] نفسه: ص 48.

[2] المرجع نفسه: ص 48.

المنبثقة عن أي فعل كلامي. وكان من أهم تلك النظريات، "ونظرية الاستلزام الحواري" لبول غرايسH.P Grice.

مراجع المحاضرة :

- الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت 2005.
- عبد السلام إسماعيل العلوي. التلفظ والإنجاز،

Consulté le 02/05/2017.www.fikrnanakd.eljabiriabed.com

- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفية الجامعية، مصر 2002.

المحاضرة الحادية عشرة

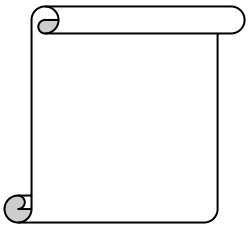

11

المقولات والاسس الكبرى للفكر التداولي المعاصر

– نظرية الملائمة (Théorie de pertinence):

تعد نظرية الملائمة نظرية تداولية معرفية، أرسى معالمها كل من اللسانية البريطانية "ديردر ويلسن Deider Susan Wilson"[*] والفرنسي دان سبربر D. Sberber، وقد اكتفت هذه النظرية في طياتها رافدين معرفيين: فهي نظرية تعالج الظواهر البنيوية للملفوظات (في المقامات المختلفة)، كما تعد في نفس الوقت نظرية إدراكية[*].[1]

---

[*] ديردر سوزان ولسن Durter Susan Wilsan: "متخصصة في اللسانيات (ولدت سنة 1941)، تدرس في جامعة لندن، صدر لها بالاشتراك مع "دان سبيربر":

-La pertinence Communication et Cognition, 1989.

-Façon de parler, Cahier de linguistique Française, 1987 ».

ينظر آن ربول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني. المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ص: ص 242/241.

[*] تعد نظرية الملائمة نظرية إدراكية لاستفادتها من علم النفس المعرفي، خاصة النظرية القالبية Modularité لفودور" ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 37.

[1] ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 36.

فقد استفادت نظرية الملائمة من النظرية القالبية (Modularity)، خاصة فيما يتعلق برصد وقائع الحياة الذهنية، وتغيير طرق جريان المعالجة الإخبارية[1] فاشتغال الذهن البشري كما يرى فودور[*]، اشتغال مُمنهج ذو طبيعة منظمة، إذ تجري فيه معالجة المعلومة الصادرة من متكلم ما عبر مراحل متلاحقة، وهي: **المحولة والنظام الطرفي والنظام المركزي**، وتشتغل هذه الأنظمة وفق الشكل الآتي[2]:

أولا: المحولة: وتتمثل وظيفتها في ترجمة معطيات الإدراك الحسي (من أصوات أو ظهور شيء في مجال الرؤية أو قول...الخ) إلى نسق، قصد التمهيد لاشتغال النظام الطرفي.

ثانيا: النظام الطرفي: يتكون هذا النظام من مجموعة من الأنظمة الفرعية التي تختص بمعالجة المعطيات، فهناك نظام مختص بمعالجة المعطيات المرئية، ونظام مختص بمعالجة المعطيات السمعية...الخ. وتكمن وظيفة هذا النظام في تقديم تأويل أولي ترميزي للمعطيات المدركة، ويتم إتمام التأويل عبر النظام المركزي الموالي.

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 44.

[*] جيري فودور Jerry A Fodor: فيلسوف وعالم نفس أمريكي (ولد سنة 1935)، باحث في مخبر متخصص في الإلكترونيات، يدرس الفلسفة وعلم النفس منذ سنة 1963 في معهد ساشوستس للتكنولوجيا MIT، من الذين أوجدوا مفهوم المنظومية الذي كان شائعا في الدراسات اللسانية النفسية، وقد أعطاه صيغة جديدة في كتابه: Modularity of Mind (83)" ينظر آن روبول. جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 246/245.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص: ص 74/73.

ثالثا: النظام المركزي: تحقق مهمة إتمام التأويل في هذا النظام، من خلال مقارنة المعلومة الواردة مع المعلومات الأخرى المعروفة سلفا أو معلومات وفرتها في الآن نفسه أنظمة طرفية أخرى، كما يتحقق هذا التأويل، نتيجة عملية استدلالية.

وأمام هذا الطرح، يتجلى بوضوح انعطاف الدرس التداولي إلى مسار آخر مؤداه الاعتماد على نزعات معرفية مختلفة؛ فبالإضافة إلى الاعتماد على الإطار اللساني العام، والإطار الفلسفي للغة[*]، كما انتقلت التداولية إلى حد الارتكاز والاستفادة من "علم النفس المعرفي" خاصة في المجال التأويلي أو الإدراكي للملفوظات، وهذا ما عرف بتوجه "التداولية المعرفية" عند "سبربر" و"ولسن"[1].

كما أن من بين المبادئ الملفتة للنظر في هذه النظرية (الملائمة) هو تصورها الخاص لمفهوم السياق، فهي تنظر إليه على أنه "شيء غير معطى، ولكنه يبنى وفقا لتوالي الملفوظات"[2] بمعنى أنه لا وجود للسياق قبل العملية الحوارية المتكونة من متحدث ومتلقي يحاول تأويل هذه الملفوظات تأويلا صحيحا.

---

[*] يتبين استفادة نظرية الملائمة من مجال فلسفة اللغة بوضوح، عندما تستعين بالنظرية الحوارية لغرايس (1975) وتقلص مسلماتها في مسلمة المناسبة، أنظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 38.

[1] « La pragmatique cognitive : s'articule sur la théorie de la pertinence (TP) formulée par sperber – Wilson (1989) » Voire : George, Elia, Sarfati, Précis de pragmatique, 2002, p 67, édition Nathan, Paris.

[2] « .., le contexte n'est pas donné mais construit, énoncé après énoncé » Jaques Moechler, Anne Reboul. Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, p 140, éditions de Seuil (1994).

ويتكون هذا السياق من مجموعة من "الافتراضات السياقية" تستمد من مصادر ثلاثة[1].

1–تأويل الأقوال السابقة: وهي تلك القضايا المتمركزة في أول الكلام، والتي تخزن في الذاكرة التصويرية، بهدف استخدامها في عملية التأويل.

2–المحيط الفيزيائي: فقد يشمل السياق المكان المؤطر لعملية التواصل، باعتبار أن أي عملية تواصلية تجري في مكان معين، ومن هنا يمكن اعتبار هذا المحيط من الأمور المساعدة التي يستخدمها المتلقي في عملية تأويل الملفوظات.

3–النظام المركزي: وتتوفر هذه الذاكرة على معلومات مختلفة عن العالم، وتساعد هذه المعلومات على الإدراك والتأويل السليم للملفوظات.

أما فيما يخص كيفية الوصول إلى تلك المعلومات المخزنة في النظام المركزي؛ تكون من خلال الصيغة المنطقية[2]، حيث تحتوي هذه الأخيرة على مجموعة من المفاهيم، لكل مفهوم عنوان تصوري في الذاكرة المركزية يحمل ثلاث أنواع من المعلومات:

المدخل المنطقي: وهي تلك المعلومات التي تتعلق بمختلف العلاقات المنطقية (الاستلزام، التناقض، ...الخ)، والتي يلتقي فيها المفهوم بمفاهيم أخرى[1].

---

[1] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: ص 39/38.

[2] ينظر: المرجع نفس، ص: 39.

المدخل الموسوعي: ويوضع تحت هذا المصطلح كل المعلومات غير المنطقية أو المعجمية، والتي تسمح إعطاء امتداد للتصور[2].

المدخل المعجمي: وهي تلك المعلومات التي تخص عنصر معجمي ما، أي تضم المعلومات الصوتية والتركيبية[3].

أما بالنسبة لكيفية انتقاء "الافتراضات السياقية" فهي تحصل "انطلاقا من المعلومات التي تتوفر لدى المتخاطبين في مقام العملية التواصلية، وفي المحصلة: إن نجاح العملية التواصلية مرهون بالتحكم في قاعدة واحدة وهي **مبدأ الملائمة**"[4]، كما أن الالتزام بهذا المبدأ (الملائمة)، يجب أن يكون من طرف المتكلم وهو يتلفظ من جهة، ومن المتلقي وهو يؤول تلك الملفوظات من جهة أخرى، وهذا لهدف الوصول إلى المعنى السليم المراد.

---

[1]... « Logique : les informations correspondent alors au différentes relations logique (implication, contradiction, etc) que le concept peut entretenir avec d'autre concept » Jaques Moechler. Anne Reboul. Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, p 140.

[2]« Encyclopédique : On regroupe sous ce terme toutes les informations qui ne sont ni logiques, ni lexicales, et qui permettent d'attribuer une extension au concept.. » Ibid, P : 140.

[3] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 39.

[4]« ... les hypothèses sont formulées à partir des informations dont disposent au moment ou ils communiquent les prétagonistes de l'échange. En somme, la maîtrise d'une règle unique : le principe de pertinence » George éliq Sarfati Précis de pragmatique, p 68.

ويتحدد مبدأ "الملائمة" انطلاقا من وسيطين: الآثار المعرفية[*] Contextuel effets والجهد المعرفي[*]Cognitif Cost، وهما يعملان وفق المعادلتين الآتيتين[1]:

أ-كلما أنتج الملفوظ "آثار سياقية" أكثر؛ كلما كان هذا الملفوظ ملائما.

ب-كلما تطلب الملفوظ جهدا أقل لمعالجته، كلما كان هذا الملفوظ ملائما.

3- الإشاريات (**Déictique**):

يمكن اعتبار الإشاريات أنها جانب مهم من جوانب الدرس التداولي، أرسى معالمه الباحث السيميائي "بيرس" Peirce[2]. وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن هناك عدة باحثين تداوليين أدمجوا هذا المفهوم (الإشاريات) ضمن تداولية الدرجة الأولى المتمثلة في النظرية التلفظية[*]، وتقوم هذه الأخيرة على دراسة عناصر إنتاج الخطاب اللغوي التي تحصرها في الإشارات المتجسدة في[3]:

---

[*] الآثار المعرفية (Contextuel effets): يراد به كل تعالق بين معلومتين، إحداهما قديمة والثانية جديدة، مما ينتج عنه مجموعة من الحوسبات الذهنية، كتعديل أو تحسين أو إثبات أو إقصاء افتراضات توجد في ذاكرتنا التصورية. ينظر: ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 40.

[*]الجهد المعرفي (Cognitif Cost): له دور تقييم مدى ملائمة الأقوال" المرجع نفسه ص 40.

[1]« (A) toute choses étant égales par ailleurs plus un énoncé produit d'effets contextuels, plus cet énoncé est pertinent... (B) Toutes choses étant égale par ailleurs, moins un énoncé demande d'efforts de traitement, plus cet énoncé est pertinent » Jaques Moechler. Anne Rebou, Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, p : 143.

[2] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 16.

[*]من بين أهم الباحثين التداوليين الذين أدمجوا هذا المفهوم ضمن تداولية الدرجة الأولى نجد: هانسون Hansson. ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإماء القومي، الرباط، 1986، ص: 41.

[3]ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 17 وما بعدها.

-الإشاريات الشخصية PersonalDéitics: وهي جميع ضمائر المتكلم أو المخاطب.

-الإشاريات المكانية Spatial Déictics: وهي جميع أسماء الإشارة وظروف المكان.

-الإشاريات الزمنية Temporal Déictics: وهي جميع ظروف الزمان التي يمكن أن تكون ظاهرة أو مضمرة.

وللإشاريات وظيفة مهمة، تكمن في مساعدة المتلقي على معالجة وتأويل الملفوظات بطريقة صحيحة، بمعنى أنها تمكنه من الوصول إلى التفسير الصحيح على أساس أن الكثير "من ألفاظ اللغة ما لا يفسر إلا بمعرفة السياق المادي(*) للمتكلم"[1].

كما أن للإشاريات وظيفة هامة تكمن في تماسك الخطاب وصلابته حتى يغدو كتلة متراصة لا تقبل التجزيء والانقسام.

4- الافتراض السابق Présupposition:

*ينبغي التفريق في هذا المجال بين السياق المادي Physical context المرتبط بالزمان والمكان الذين يتعلقان بالألفاظ اللغوية، وبين السياق اللغوي الذي يعرف أنه مجموعة الكلمات الأخرى المستعملة في نفس العبارة أو الجملة، ينظر: جورج يول. معرفة اللغة، تر: محمد فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 137.

[1] المرجع نفسه، ص: 137.

وهو من المفاهيم الإجرائية التي يتقفّاها الدرس التداولي وهو متعلق برصد الظواهر المختصة بالأبعاد الضمنية التي يشملها أي خطاب. يقول ستالناكرStalnakar معرفا هذا المفهوم: "إنّ عمليات الافتراض هي ما يعتبره المتكلم أرضية مشتركة مسلما بها لدى كل أطراف المحادثة"[1].

انطلاقا من هذا التعريف يمكن القول أن الافتراض المسبق مفهوم تداولي يتواجد في كل تواصل لساني، حيث ينطلق كل من الباث والمتلقي وكل المشاركين في العملية الحوارية التواصلية. من افتراضات مسلم ومعترف بها بينهم. فعندما يوجه الباث حديثه إلى المتلقي فهو ينطلق مما يفترض سلفا أنه معلوم له[*].

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن الافتراضات المسبّقة تشكل الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة في أي عملية إنتاجية للكلام.

---

[1] "ج.بول" و"ج.براون"، تحليل الخطاب، ص 37.

[*] يذكر الباحث مسعود صحراوي، هذا المثال لتسهيل استيعاب هذا المفهوم (الافتراض السابق):
يقول الطرف الأول للطرف الثاني: كيف حال زوجتك وأولادك؟ إن هذا يفترض بأن الطرف الثاني متزوج وله أولاد وأن الطرفين الأول والثاني تجمع بينهما علاقة ما تسمح بطرح مثل هذا السؤال، عندئذ يرد الطرف الأول قائلا:
-هي بخير شكرا / الأطفال بعطلة.
ولكن إذا كانت الخلفية التواصلية غير مشتركة بين الطرفين؛ فإن الطرف الثاني يرفض السؤال أو يتجاهله، فيجيب بأحد الملفوظات التالية: أنا لا أعرفكم، لست متزوجا، لقد طلقت زوجتي. ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 31.

ولعل أهم فرق جوهري الذي يفصل بين الاستلزام الحواري Présupposition والأقوال المضمرة[*] يتمثل في كون أن الأول هو نتاج للسياق الكلامي، أي يمكن أن نستشفه من خلال الملفوظات ذاتها، أما الثاني فهو وليد الملابسات المحيطة بالعملية التواصلية[1].

مراجع المحاضرة :

- آن ربول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني. المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
- ديردر سوزان ولسن Durter Susan Wilsan: "متخصصة في اللسانيات (ولدت سنة 1941)، تدرس في جامعة لندن، صدر لها بالاشتراك مع "دان سبيربر":
- فرانسوازأرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإماء القومي، الرباط، 1986

[*] تعرف "أوركيوني Orechioni" الأقوال المضمرة على الشكل التالي: "القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث" ينظر المرجع نفسه، ص: 32.

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص: 32.

- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفية الجامعية، مصر 2002.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء والعرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.
- George, Elia, Sarfati, Précis de pragmatique, 2002, édition Nathan, Paris.
- JaquesMoechler, Anne Reboul. Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, éditions de Seuil (1994).

المحاضرة الثانية عشرة

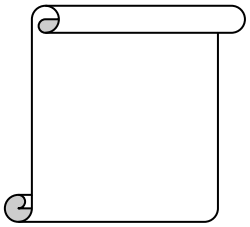

12

– نظرية الاستلزام الحواري Implicature conversationnel:

–تعد هذه النظرية من أكثر النظريات انتشارا في الدراسات التداولية المطبقة على مختلف اللغات. وترجع نشأتها إلى المحاضرات التي ألقاها غرايسH.P. Grice، (وهو من فلاسفة أوكسفورد المتخصصين في دراسة اللغات الطبيعية Natural language) في جامعة هارفارد سنة 1967، فقدم فيها إيجاز تصوره لهذا الجانب من الدرس، والأسس المنهجية العامة التي يقوم عليها[1].

تقوم هذه النظرية على مجموعة من الأسس التي تنظم العلاقة الحوارية بين المتكلمين، الذين يدخلون في الحوار بناءا على "عقد ضمني" يحدد إسهام كل واحد من المتحاورين في تنمية العملية الحوارية. ويتمثل هذا العقد الضمني –حسب اقتراح غرايس–، في مبدأ التعاون[*] Principe de

[1] ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 51.

[*] يعرف بول غرايس مبدأ التعاون على النحو الآتي: "أن تجعل مساهمتك في المحادثة كماهو مرجو منك من حيث اختيار التوقيت المناسب، وأن تكون تلك المساهمة متماشية مع الهدف والتوجه المسلّم بهما للتبادل الخطابي الذي تقع ضمنه"، ج.ب براون و.ج. يول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، دار النشر والمطابع، الرياض، 1997، ص 40.

Coopération، إذ يعتبر هذا الأخير (وفق هذا النحو التصوري) من أهم المبادئ التي تحكم العملية الحوارية أو التواصل الكلامي، فمن خلاله يستطيع كل طرف في الحوار أن يتوقع من الآخر "أن يلتزم بجملة من المواضَعَات أثناء كلامه، وتتصل هذه المواضَعَات أو المبادئ بكمية الإسهامات في الحوار (أو مدى الإبلاغ فيها) ونوعيتها (أو مدى صدقها) وكيفيتها (أو مدى وضوحها) ومناسبتها"[1].

وبصيغة أدق، يمكن أن نجمل مسلمات: Maximesغرايس فيما يلي[2]:

"**1-مسلمة القَّدْرْ: Quantité**: وتخص قدر (كمية) الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية، حيث أنها توصي بجعل المبادرة الكلامية تفيد القدر اللازم من الإخبار.

أ-إجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار.

ب-لا تجعلها (المشاركة) تفيد أكثر مما هو مطلوب.

2-مسلمة الكيف Qualité: التي تنص على عدم التلفظ بكلمات لا يستطيع المتلفظ البرهنة على صدقها.

[1] ج.ب براون و.ج. يول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، دار النشر والمطابع، الرياض، 1997، ص: ص 102/101.

[2] ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء والعرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005، ص: ص 34/33.

3-مسلمة الملائمة Pertinence: وهي عبارة عن قاعدة واحدة متمثلة في: "لتكن مساهمتك ملائمة لمقتضى الحال".

4-مسلمة الجهة Modalité: التي تنص على الوضوح في الكلام من خلال اعتمادها على ثلاث مبادئ ثانوية وهي:

-الابتعاد عن اللبس والغموض واستعمال الإيجاز في الكلام وترتيبه.

تعد هذه القوانين التي صاغها بول غرايس أساسية في كل حوار بناء بين المتحاورين في المجتمع، وقد وقع التركيز على هذه القوانين لأن أي كلام هو في حقيقته ذو بعد حواري بالأساس، ويشتمل هذا البعد على جميع أنواع الخطاب المنطوق منها أو المكتوب.

إن هذا الطرح الغرايسي، يعتبر أن هذه المبادئ تمثل ضابطا يتحكم في استخدامات المتكلم للغة أثناء المحادثة، كما أنه يعتبر أن هذه الضوابط كفيلة "لوصف أنواع الدلالات التي يمكن لمتكلم أن يوحي بها في حالة "عدم إلتزامه" بأحد هذه الضوابط"[1] بمعنى أن ظاهرة الاستلزام الحواري متعلقة بخرق إحدى المبادئ الأربعة، ويتولد عن هذا الخرق معان ضمنية[*] بالإضافة إلى المعنى الصريح[*] المباشر.

[1] ج. ب براون و ج. يول، تحليل الخطاب، ص 41.

[*] المعاني الضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها، وتشتمل على ما يلي:

ومحاولة منه (غرايس) لإثبات أحقية هذا المقتضى من التصور؛ يطرح بعض الأمثلة[*]، التي كان في مجملها عبارة عن محادثات تبين بدقة كيف ينشأ المعنى الضمني المستلزم على إثر كل الخروقات أو عدم الالتزام بضابط من الضوابط الأربعة.

إن هذه الكلية لمجمل ما ذكر حول مبدأ التعاون"، والاستلزام الحواري المترتب عنه؛ تجرنا حتما إلى طرح جوهري مفاده: أن هذا التصور التنظيري "الغرايسي"، يصبُّ في إطار عام حدوده استخدام **"عبارات مناسبة لمقام التخاطب ولموضوع الحوار"**.

-معاني عرفية: Sens conventionnel: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا، وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء.

-معاني حوارية Sens conversationnel: وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية، ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 35.

*المعاني الصريحة Sens littéral: هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشمل على ما يلي:

أ-المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجمل مضمون بعضها إلى بعض.

ب-القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصيغ الجملة بصيغة أسلوبية ما: كالاستفهام والأمر والنهي والتوكيد والإثبات والنفي". ينظر المرجع نفسه، ص 34.

* لشيء من التفصيل، نذكر المثال الآتي –الذي صاغه "غرايس"- وكان عبارة عن حوار بين أستاذين أ وب.

الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

الأستاذ (ب): إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

-يلاحظ غرايس، أنه إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب)، وجدنا أنها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت، أحدهما حرفي، والآخر مستلزم، معناها الحرفي أن الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين، ومعناها الاستلزامي أن الطالب المذكور ليس مستعد لمتابعة دراسة في قسم الفلسفة. ففي إطار تأملنا لهذه العملية الحوارية؛ وجدنا أن هناك خرق لإحدى المسلمات، -قاعدة الملائمة- ذلك أنها جواب غير ملائم للسؤال المطروح: هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟"، وهكذا دواليك بالنسبة للمسلمات الأخرى: فإذا تم خرق مسلمة الكيف Qualité، أو مسلمة الكم (القدر) Quantité، أو مسلمة الجهة Modalité في عملية حوارية؛ نتج عن هذا الخرق معنى مستلزم". ولمزيد من التفصيل: ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص: 34.

وبذا، يمكن أن نخلص، -ونحن نتعاطى مع هذه العتبات-: أن أهم ضابط تميزت به هذه النظرية، هو مبدأ المناسبة "ليكن إسهامك في الحديث مناسبا بناء على إطار الموضوع القائم"، حيث مثل هذا الأخير جوهر ومركز المبادئ أو المسلمات الأخرى. ومن هذا المنطلق اندفعت بعض الجهات المختصة بالدرس التداولي من علماء وباحثين لتعميق هذا المبدأ، وإرساء بعض القواعد (التنظيرية الإجرائية)، بالاعتماد على روافد معرفية مختلفة. وقد مثل هذا الاتجاه: نظرية الملائمة.

مراجع المحاضرة :

- ج.ب براون و.ج. يول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، دار النشر والمطابع، الرياض، 1997 .
- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفية الجامعية، مصر 2002.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء والعرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.

المحاضرة الثالثة عشر:

13

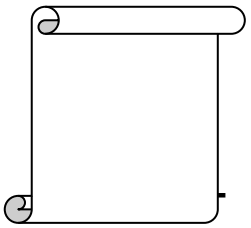

لقد ورد مفهوم الحجاج في الثقافة العربية بطرق و صيغ مختلفة " يقال: حاججته أحاج حجاجا و محاجة حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها [....] و الحجة: البرهان، و قيل: الحجة ما دوفع به الخصم، و قال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، و هو رجل محجاج أي جدل، و التحاج: التخاصم، و جمع الحجة: حجج و حجاج، و حاجة محاجة وحجاجا: نازعة الحجة، و حجة يحجه حجا: غلبه على حجته، و في الحديث فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة، و الحجة: الدليل و البرهان، يقال حاججته فأنا محاج و حجيج، فعيل بمعنى فاعل، ومنه حديث معاوية: فعجلت أحج خصمي أي أغلبه بالحجة، و حجة حجا، فهو محجوج و حجيج"[1].

و عليه يبدو أن تعريف الحجاج في الثقافة العربية مقرون " بدافع الحجاج أو سببه، و هو التنازع، و التخاصم و إجمالا فسببه هو الاختلاف و لكنه ليس الاختلاف المطلق، بل اختلاف مقيد بجدل معرفي معين إما آلته الناظمة، و إما في لغته المنظومة، فيعد يظهر فيه، و يختفي في غيره،

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط 3، دار صادرة، بيروت، 1994، ج2،س مادةح ج ج ، ص 229/226

فيصبح الحجاج الطريقة المثلى لحله "[1]، و هذا يؤدي بنا رأسا إلى اعتبار الخلاف (التعارض) إحدى الخصائص المهمة التي تميزه عن غيره من الآليات و المفاهيم الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك، يعتبر الحجاج من بين الوظائف المهمة التي تضطلع لها اللغة، بحيث يمكن وصف الحجاج بأنه " تقديم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، و هو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، و بعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، و بعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي نستنتج منها"[2] .

و لقد حظي الحجاج بجهود حثيثة و مقاربات مستفيضة لا تكاد تنتهي إلى الوقت الراهن من طرف العديد من المناطقة و اللغويين و الفلاسفة و البلاغيين الذين اختصوا بمدارسات تحليلية للخطاب، حكم أن " الخطاب مجموعة من الصيغ و العبارات الحاملة في طياتها بعدا حجاجيا موجه لنمو المتلقي بغرض إقناعه بمحتوى أو معلومة معينة، أو قلب قناعات أو التأثير فيه ..."[3] و لهذا نلقي كل من ميشال ماير M. Mayer و شاييمبيرلمانCH. Perlman يعرفان الحجاج على هذا الشكل: يعرف الحجاج عادة بكونه جهدا اقناعيا (افحاميا) و يعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه"[4] .

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية : مقاربة تداولية، دار الانتشار العربي، ط1، السعودية، 2013، ص52

[2] الغزاوي ابو بكر: اللغة والحجاج، الأحمدية، الدار البيضاء، ط1، سنة 2006، ص 1

[3] واضح أحمد،الخطاب التداولي في المورث البلاغي العربي، المرجع السابق، ص 141.

[4] حبيب أعاب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد 30 سبتمبر 2001، مجلة محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص97.

و لابد من القول في هذا المجال أن المعيار المهم الذي يجعل ينحو نحو القبول و الفعالية، هو الاستراتيجية و الطريقة و التقنية التي يتم لها عرض الحجج بغرض التأثير على المتلقين، و لكن لا يمكن الوصول إلى هذا المبتغى إلا إذا ربطت الآليات الحجاجية و طريقة نظمها في الخطاب بمراعاة السامع، و كذا مدى قدرة التقنيات الحجاجية المعتمدة لحصول اللإقناع، دون أن يتغاضى المخاطب عن مراعاة الحالة النفسية للمتلقي[1]، و لذلك أطلق على الدراسات التي تهتم لهذا الجانب المعرفي مصطلح: البلاغة الجديدة، و يرجع الفضل في ذلك إلى بيرلمان و زميله تيتيكاه في مؤلفهما: مصنف الحجاج، البلاغة الجديدة Traite de méaugmentation nouvel rhétonique، الذي اعتبر إيذانا بدخول الدراسات البلاغية إلى أفق جديد همه الأساسي هو مقاربة و مدارسة الحجج و المسائل المرتبطة بها[2]، بالإضافة إلى مشاريع و تصورات مهمة في مفهوم الحجاج و طريقة اشتغاله كمشروع " تولمين" في الحجاج، و تصور كل من " أنسكومبر" و ديكرو" في الحجاج ...، و فيما يلي تفضيل لذلك

:تصور الحجاج عند تولمين:

يعتبر تولمين من بين المنظرين البارزين في حقل الحجاج، و تتمثل مساهمته الأساسية في فصل المنطق و آلياته على مبحث الحجاج، فقد ركز اهتمامه على إبعاد " القضايا التي تستدعي التقنيات المنطقية، و يتجه نحو التقويم العملي للحجاج، فيثير قضايا هامة أغفلها المنطق الذي ظل عبر

[1] ينظر : عمر بلخير، التداولية والحجاج، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الإختلاف، ط1، 2003، الجزائر، ص 21 .

ينظر : محمد ولد الأمي، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، المركز العربي لدراسات أبيات الكتاب الاخضر، ط1، ليبيا، 2004، ص 15 [2]

تاريخه، يميل إلى التطور بعيد عن المشاكل و القضايا العملية ليتجه نحو حالة من الاستقلال التام، يصير فيها موضوعا للدراسة النظرية، و يتحرر من كل الالتزامات العملية المباشرة، و يظل مع ذلك ميالا إلى الجمع بين كونه عملا صوريا، و بين كونه تقويما نقديا للحجج الواقعية" أي أن تصوره للحجاج قائم على إضفاء الطابع العملي المرتبط بالقضايا العملية و المشاكل، للوصول في نهاية المطاف إلى حجاج ذو شقين، الشق المتجه نحو معالجة و نقد الحجج الواقعية، و الشق الصوري النظري.

كما اتجه تولمين في كتاباته نحو تفضيل عملية ضبط العلل الموجودة ضمن أي إدعاء مطروح، و في هذا الإطار اعتمد على فكرة جوهرية مفادها، أن العلل التي يستخدمها المتكلم بمثابة " الوظيفة الأساسية للحجج، و ما عداه من استعمالات و وظائف يعتبر ثانوي و مهمش، لنفرض أن شخصا ما صاغ اثباتا، ثم طولب بتدعيمه فماذا سيفعل لإنتاج حجة تعلل إثباته" .

و يمكن لنا أن نفهم تولمين للحجاج من خلال بحثه المقدم سنة 1958 و الموسوم بعنوان the use of argument، الذي كان يهدف من خلال تأليفه إلى مدارسة الآليات الحجاجية المستعملة في الخطابات العادية، و من بين المخططات و النماذج الأكثر دقة في تصوير تصوره لطريقة اشتغال الحجاج الشكل التالي:

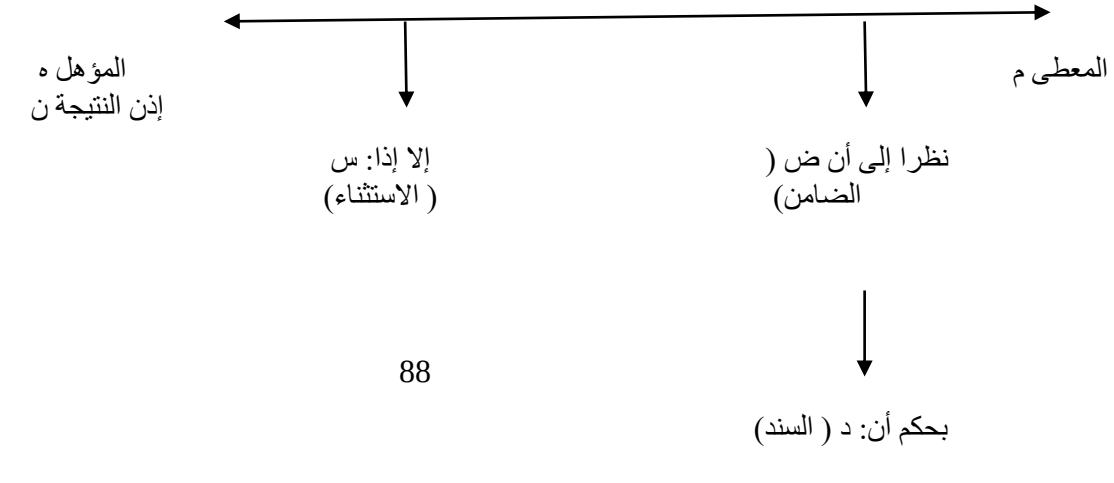

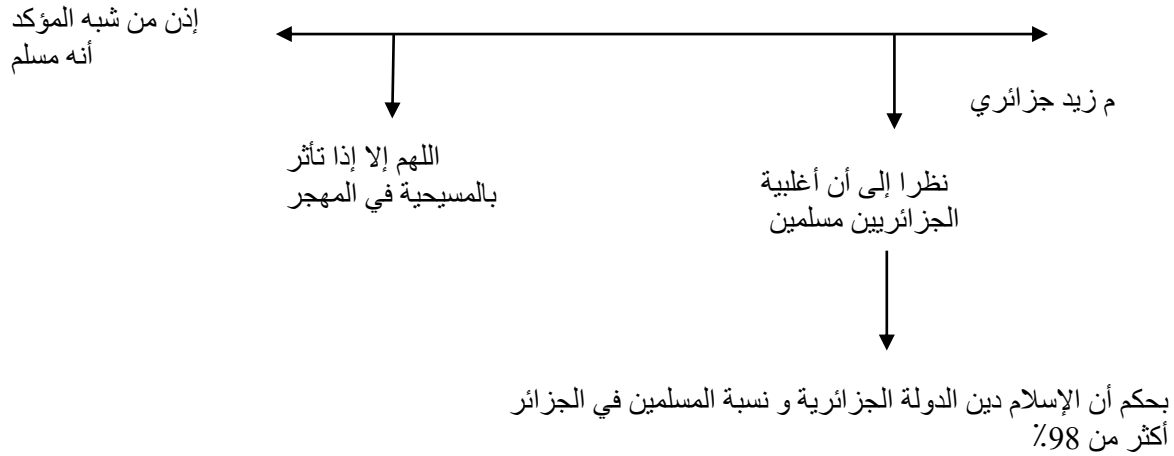

نستشف من خلال ملاحظتنا لهذا المخطط و المثال المضمن طريقة اشتغال الحجاج عند تولمين أن المعطى " م" و النتيجة " ن" و الضمان " ض" من المعطيات المعتمدة في القياس الأرسطي مقدمة كبرى و مقدمة صغرى (النتيجة) و عليه يمكن القول أن هذا التصور الذي اختص به تولمين يفتقد إلى الأبعاد التداولية الاستعمالية بحكم أنه لا يستوفي على أي إشارة أو معطى يربط البنية الحجاجية بالمقام le contexte أو بالمتلقي و الاهتمامات التي تساوره.

اما بالنسبة لمشروع بيرلمانPerlman و تيتكاهTyteca في احجاج لقد أنجب هذان الباحثان كتاب مصنف في الحجاج سنة 1958، و هو معجم تضمن كل أشكال الحجاج و طرق تأثيرها، و قد أوعز الباحث جورج فينو George Vignaux مشروع بيرلمان في إحياء بلاغة الإقناع إلى عوامل سياسية مرتبطة " بالإبادة التي كانت تبرمجها الخطب النازية لخطيب مرعب هو أدولف هتلر. مما جعل " بيرلمان" يقتنع بأن الكلام غير المنضبط و الكلام المستند إلى المطلق قد يقودان إلى الأعتل و إلى التخريب و الموت"[1] و هو ما يدخل في كتابات بيرلمان المتعلقة بالعشوائية في المعرفة.

و يعتقد هذان الباحاثان " موضوع نظرية الحجاج هو درس لتقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[2] أي أن موضوع الحجاج مرتبط التركيز على كل ما هو ملائم و مناسب لإفحام المتلقي بحجج ذات فعالية من شأنها التأثير عليه و قلب قناعاته، يقول بيرلمان في هذا الصدد: " غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"[3] .

---

[1] عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الإختلاف، ط1، الجزائر، 2013، ص 83-84

[2] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، ط2، لبنان، 2007، ص 27

[3] عبد الله صولة، الحجاج أطره منطلقاته وتقنياته، اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم، إشراف حمادي حمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، المجلد XXXIX ، 1998، ص 299

أما بالنسبة لمنطلقات الحجاج عندهما، فيمكن القول أنها ربطا هذه الأخيرة بمجموعة من المقدمات الإستدلالية المتفق عليها بين المتخاطبين و هذه المقدمات هي:[1]

الوقائع: و هو ما كان مشتركا بين الناس، و تكون هذه الوقائع غما عيانية (ممكن مشاهدتها) أو محتلمة.

الحقائق: و هي منوطة بالنظريات العملية و الفلسفية ... التي لا يمكن خضوعا للتجربة.

الافتراضات: و هي تلك الأحكام القبلية المتوافق عليها.

القيم: و أغلب ما تكون في الميادين القضائية و السياسية و الفلسفية و هي تستدعي لدفع المستمع نحو اختيارات معينة أو لتبريرها.

الهرمات: و هي مراتب و درجات القيم، فالعدل مثلا قد يعتبر أفضل من قيم أخرى نبيلة.

المعاني أو المواضع: و هي المقدمات العامة التي يلجأ إليها المحاج لبناء القيم و ترتيبها، كموضع الكم، و الكيف، و الترتيب و الموجود و الجوهر.

و تعتبر هذه المقدمات عند بيرلمان و تيتكاه بمثابة شروط أساسية لبناء الحجاج و مساراته، كما تعتبر هذه المقدمات أطر موافقات ينطلق منها الحجاج، و وفق هذا الطرح فغن المدونة التي يلجأ فيها المتكلم لاختيار مقدمات خطابه الحجاجي ذات مجال واسع، و لكن يجب على هذا المجال ان يكون مناسبا و موافقا للمقام و حيثياته.

---

[1] عبدا اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 87-88

أما بالنسبة للتقنيات الحجاجية التي اعتمداها هذان الباحثان في مؤلفهما، فهي عديدة و كثيرة، فمنها: الحجاج بالتناقض و عدم الاتفاق، الحد و التعريف، الحجج القائمة على العلاقة التبادلية، و حجج التعدية، و الحجج بإدماج الجزء في الكل أو تقسيم الكل إلى أجزائه، الحجاج بالمقارنة، الحجاج بالوصل السببي، الحجاج بالشخص و أعماله، حجة السلطة، و الحجج بالمثل و الاستشهاد و التمثيل ...[1]

و على إثر هذه التخريجات و التصورات الجديدة لفعل الحجاج، استطاع هذان الباحثان القضاء على تلك الرؤية التقليدية التعسفية التي لازمت مفهوم الحجاج و التي كانت ترى أنه مجرد أداة منطقية استدلالية تفرض نفسها بقوة على المتلقيين، الذين يجدون من أنفسهم مقيدة و خاضعة لفعل ما يرمي عليها الاستدلال من الزاميات تنفي حريته و تمنعه من تحصيل أي وفاق بينه و بين المتكلم.

الحجاج في اللغة عند " ديكرو" و " أسكومبر"

تعتمد أعمال " ديكرو" Ducrot و انسكومبرAnscombre على النظرية التدوالية، خصوصا على النظرية الأفعال الكلامية عند أوستين و سورل، كما تعتمد على إسهامات بنفنستBenveniste حول التلفظ و إلى حوارية باختين Bakhtine، فإذاكانبيرلمان و تيتكاه قد تناولا الحجاج من وجهة نظر بلاغية، فإن نظرية الحجاج عند ديكرو و اسكومبر عبارة

[1] المرجع السابق، ص 93-94

عن نظرية لسانية تهتم بالطرق و الإمكانات التي تزودنا بها اللغات الطبيعية لتحقيق الغايات الحجاجية.[1]

إن أبحاث هذان الباحثان تصب بعمق في الدرس التداولي، بحكم أنهما رفضا " التصور القائم على الفصل بين الدلالة و موضوعها معنى الجملة و التداولية و موضوعها استعمال الجملة في المقام، من جهة و السعي إلى سبر كل ما له صلة بنية اللغة بالاستعمال التداولي المحتمل من جهة أخرى، فيكون مجال الباحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة و يكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية) المسجلة في أبنية اللغة و توضيح شروط استعمالها الممكن"[2] بمعنى أن الحجاج وفق هذا المقتضى التصوري هو مفهوم مرتبط بالاستعمال، و هو الطرح الذي مستبعدا في تصورات المنظرين الآخرين في مجال الحجاج.

و نتيجة لذلك تنفتح جسور الربط بين الدلالة و التداولية، على أساس أن المعنى لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال سياق تلفظ و بوظائف تخاطبية معينة، أي أن التداولية الممدمجة التي اعتمدها هذان الباحثان تشكل النظرية الدلالية التي تركز في تعاملها مع الظاهرة اللغوية على الحيثيات و المعطيات التداولية في إطار المعنى.

و تنهض هذه النظرية على مجموعة من المفاهيم و هي اعلاقةالحجاجية و المواضع الحجاجية و الاتجاه الحجاجي و القوة الحجاجية و السلم الحجاجي. و في هذا المنحنى، أورد ديكروتحقيلا أطلق

---

[1] المرجع نفسه، ص 95

[2] شكري المبحوث، نظرية الحجاج في اللغة ، تأليف جماعي اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي حمود، مجلد XXXIX، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ص

عليه مصطلح آلية المعنى، و قوامه أن أي عبارة لغوية (جملة) تدرس بالمعنى اللساني الذي يخصها بالدلالة، ثم تعالج هذه الأخيرة بالمعطى البلاغي الذي يخص معنى الملفوظ، و يضطلع المعطى البلاغي بوظيفتين أساسيتين، الأولى: إعطاء مخرجا أوليا يمهد لظهور المعنى التمهيدي بجديد السياق الملفوظي.

و الجدير بالذكر في هذا المقام، أن الحجاج الخطابي عندهما لا تحدده الاعتبارات المنطقية و الخارجية، بل يقوم على اعتبارات داخل الأقوال في بنيتها و العلاقات التي تضبط هذه الأخيرة. من هنا ميز ديكرو بين الاستدلال العقلي و الحجاج، فالأول يرتكز على المنطق، إنما الثاني مداره على الخطاب، و تظهر حجاجية الخطاب في مدى قدرته على " أن يفرض على المخاطب نوعا معينا من النتائج، بحكم أن كل كلام هو دعائي في صميمه" .

من هذا المنطلق، يمكن القول أن تصور هذا الباحثان قائم على أبعاد تداولية استعمالية، بالدرجة الأولى، قوامها الاعتداد بالمقام و الحيثيات التي تشد كيانه " كضرورة مراعاة جملة من العلاقات الحتمية بين المقام و المخاطبين و السامعين و أنواع القيم و مراتب الكينونة و الحضارة و الثقافة و آفاق انتظار المغنين و تأثير ذلك على فكر المتكلم (المبدع) و علاقة ذلك كله بوصفه كائنا بما ينبغي أن يكون، و كان قد اعطى دورا مهما لجوانب التقييم و التوقعات المحتملة في تحقيق إنجازية الخطاب كفضل لغوي" و تحدث هذه الفعالية الحجاجية من منطلق أن الحجاج يوصفه فعلا خطابيا يحمل في طياته مجموعة من الحجج التي توظف من أجل غايات و اهداف معينة.

و لذلك فإن الحجاج وفق هذا المقتضى التصوري هو مفهوم " يتنزل في سياق اجتماعي و اقتصادي و سياسي و إيديولوجي، و لهذا فهو يندرج ضمن نظم متعددة كالمنطق و الفروع المختلفة من دراسة اللسان و الأنظمة الرمزية (لسانيات و تحليل النصوص و الخطابات الدلالية) و علم النفس و علم الاجتماع التربوي و التواصلي، و هو ما يفترض في المحتج ثقافة واسعة تجعله قادرا على النفاد إلى عالم المتلقي و الفعل بتغيير آرائه و مواقفه" .

مراجع المحاضرة :

- ابن منظور، لسان العرب، ط 3، دار صادرة، بيروت، 1994، ج2،س مادةح ج ج
- حبيب أعاب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد 30 سبتمبر 2001، مجلة محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

- شكري المبحوث، نظرية الحجاج في اللغة ، تأليف جماعي اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي حمود، مجلد[1]، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية
- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الإختلاف، ط1، الجزائر، 2013،
- عبد الله صولة، الحجاج أطره منطلقاته وتقنياته، اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم، إشراف حمادي حمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، المجلد XXXIX ، 1998.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية : مقاربة تداولية، دار الانتشار العربي، ط1، السعودية، 2013.
- عمر بلخير، التداولية والحجاج، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الإختلاف، ط1، 2003، الجزائر.
- الغزاوي ابو بكر: اللغة والحجاج، الأحمدية، الدار البيضاء، ط1، سنة 2006.
- محمد ولد الأمي، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، المركز العربي لدراسات أبيات الكتاب الاخضر، ط1، ليبيا، 2004.
- واضح أحمد،الخطاب التداولي في المورث البلاغي العربي من القرن 3 هـ إلى القرن 7 هـ، مخطوطة دكتوراه جامعة وهران ،201

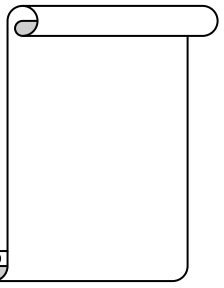

المحاضرة الرابعة عشرة :

14

البعدالسياقي التفاعلي /الإستعمالي في الفكر التداولي:

السياق واحد من المصطلحات العلمية التي ما تزال في طور البحث و الدراسة بغية تحديد مفهومها عند عديد من الباحثين المعاصرين "حتى توهم البعض أن هذا المصطلح أو ذاك واضح ومفهوم، فإذا ما حاولوا تحديد المعنى الذي ظنوا أنهم يفهمونه، بدا الأمر عسيرا غاية العسرة غامضا أشد الغموض، ومن تلك المصطلحات اللغوية الشائعة الاستعمال، العصبية على التحديد الدقيق بشكل متفق عليه بين الدارسين مصطلح الكلمة ومصطلح الجملة ومصطلح السياق الذي نحن بصدد تحديده"[1].

ولربّما هذه الصعوبة دفعت العديد من الذين تناولوا هذا الموضوع (السياق) بالدراسة إلى تبيين أهميته في دراسة المعنى وغاضين الطرف عن إيجاد تعريف للسياق، فقد رأى تمام حسان أنّ

[1] نفس المرجع، ص 54.

مصطلح "السياق" قد جرى على أقلام الكثيرين، في دراسة المعنى بمعان مختلفة باختلاف فروع المعرفة، حتى لحقه بعض الغموض[1].

كما نلمس صعوبة تحديد مصطلح "السياق" في نص الدكتور حبلص حيث قال "إذا كنا نشعر بالصعوبة الواضحة في تجلية المقصود بالسياق بوصفه مصطلحا، فإن مرجع هذه الصعوبة في نظري، هي محاولة العثور على تعريف للمصطلح، من ذلك النوع الجامع المانع كما يقول المناطقة، فسوف أولي وجهتي شطر ناحية أخرى لعلها أجدى في تجلية المقصود بالسياق، من محاولة البحث عن مثل هذا التعريف العصي، أعني بذلك صرف الجهد في التعرف على خصائص السياق وفهم عناصره وبيان دوره في تحديد المعنى كما يظهر ذلك عند أصحاب نظرية السياق"[2].

فهذه دعوة إلى تغيير وجهة البحث العصي والعقيم لتعريف شامل مانع للسياق والتوجه إلى تبيين أهميته في دراسة المعنى وتحديد وظائفه وعناصره وغيرها من المباحث المتعلقة به.

و الحق أن للسياق الدور الكبير في التفاعل الخطابي، حيث يكمن ذلك في تحديد قصد المرسل ومرجع العلامات، وهذا ما يدفع إلى طرح مجموعة من الأسئلة المتساوقة: ما السياق؟ وما أنواعه؟ وما عناصره؟ وكيف يؤثر كل منها على تحديد استراتيجيات الخطاب من حيث اختيار العلامة ومن حيث تجسيدها في العملية التواصلية التفاعلية؟[3].

---

[1] ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 1979، ص 295.

[2] المرجع السائق، ص 54.

[3] ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 40.

وكتحديد زمني لدراسة هذا المصطلح اللغوي –السياق– سنتطرق إليه بشيء من التفصيل في الثقافة الغربية في العصر الحديث، وهذا لا ينفي وجود إرهاسات عربية لغوية تراثية وغير متجاهلين وجود دراسات لمفهوم السياق في الدراسات البلاغية واللغوية وعند علماء الأصول.

فقد بدأ علماء اللغة في الغرب الاهتمام بفكرة السياق، وذلك في إطار تأثيرهم للوظيفة الاجتماعية للغة، وأثره في تنوع الدلالة كما نجده عند فيرث ومالينوفسكي وعملها على تحديد عدد من المصطلحات مثل السياق اللغوي وسياق الحال[1].

في حين يقدم لنا الدكتور تمام حسان حقيقة مفادها أن مالينوفسكي " B. Malinowski" (1884-1942) وهو يصوغ مصطلحه الشهير "سياق الحال" "Context Situation" لم يكن يعلم أنه مسبوق إلى هذا المفهوم بأكثر من ألف سنة إذ يقول "إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح "المقام" ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات وبراعة الدعاية الغربية الذائبة"[2].

فهذه دعوة صريحة من د. تمام حسان على أن مصطلح "السياق" قد جرى على أقلام الكثيرين في دراسة المعنى، لأن كل دراسة لغوية لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى

[1] ينظر المرجع السابق، ص 58.

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979، ص 337.

وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة ـ بمعان مختلفة باختلاف فروع المعرفة حتى لحقه بعض الغموض[1].

لقد تفطن مالينوفسكي أثناء دراسته للغة، ودورها في المجتمعات البدائية إلى دور المنطوق الكامل في إطار المقام، واعتباره الجملة أداة اجتماعية، وقد قرر بناء على هذا أننا ينبغي أن تدرس اللغة على أساس ارتباطها بالمجتمع الذي يستخدمها، وأنها ليست وسيلة للتفاهم والتواصل فقط، أو صورة رمزية عاكسة للفكر، فهذا لا يعدو أن يكون وظيفة واحدة من وظائفها، فهي طريقة عمل ونشاط من السلوك الاجتماعي والتعاون المشترك[2].

ومنه أقر مالينوفسكي أنه لا يمكن للنصوص المترجمة أن تؤدي معنى لدى القارئ إلا إذا كانت مصحوبة بالملاحظات، وكانت وظيفة هذه الأخيرة تشخيص الموقف الخاص بالنص ببنيته اللفظية وغير اللفظية وقد أشار لذلك وسماه سياق الموقف (Context of Situation) أو مجموع الظروف المحيطة بالحدث اللغوي الذي استخدمت أو نطقت فيه أو ما يصحب عملية إنتاج النص وتلقيه[3].

ومنه يمكن القول أن مصطلح السياق يطلق على مفهومين:

---

[1] ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 295.

[2] ينظر إبراهيم أصبان، السياق بين علماء والشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، مجلة الإحياء، عدد 25، ص 60.

[3] ينظر نفس المرجع، ص 60.

1-السياق اللغوي: الذي يعتبر من المفاهيم الأكثر شيوعا في البحث المعاصر على أنه تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع وتساعد في الكشف عن معناها[1] أو هو تجسيد تلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب من وحدات صوتية وصرفية ومعجمية، وما بينها من ترتيب وعلاقات تركيبية"[(2)]، أو نقل هو ذلك الاستعمال للغة أو مجموعة الكلمات المتجاورة داخل نظام صوت وصرفي ومعجمي من أجل إعطائها معنا محددا.

ينبغي هنا القول إن السياق يستعمل طورا للدلالة "السياق النصي، أي الكلمات أو العبارات التي تجاوز كلمة أو عبارة ما داخل النص، والتي تسهم في تأويل كلمة أو جملة أو نص ما في آثار نفس المؤلف وقد يتجاوز هذا وصولا إلى آثار الكتاب في عصر أو في جنس خطابي ما"[(3)]. وهذا لا يتأتى إلا بإدراك نظام اللغة الداخلي.

في حين يشير أصحاب المدرسة السياقية الفيرثية إلى اعتبار السياق اللغوي "حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة مع كلمات أخرى مما يعطيها معنى خاصا؛ ذلك أن المعنى المعجمي عادة ما يتصف بالاحتمال، ولا يتحدد إلا إذا وضع في سياق"[(4)] فهذا التحديد لا يخرج من حيث المفهوم مع التعاريف السابقة على أنه ذلك النظام اللغوي القواعدي الذي ترصف وتتساوق فيه الكلمات داخل الجمل المتجاورة.

---

[1] ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 40.

[2] نفس المرجع، ص 40.

[3] محمد الولي، السياق... إشكالية قديمة في أضواء جديدة، مجلة الإحياء، ع 25، ص 63.

[4] إبراهيم أصبان السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، مجلة الإحياء، ع 25، ص 60.

2-سياق الحال: أو سياق التلفظ أو سياق الموقف (Contexte de Situation) والذي يتمثل في السياق الاجتماعي الذي لا يمكن الاستغناء عنه في تحديد المعنى على أن تجعل منه الدراسات التداولية أساسا من أسسها المكينة، حيث اتسع مفهوم السياق ليتجاوز تعريفه النموذجي (السياق اللغوي) إلى تعريف أرحب يشمل جميع ملابسات الحدث الكلامي، على أنه مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام، وتسمى هذه الظروف، في بعض الأحيان، بالسياق Context"[1].

فقد جُعل هذا المصطلح ليدل على مجموع الظروف والملابسات الاجتماعية والثقافية الخارجية المحيطة بالفعل اللغوي، وتبعا لهذا فإن معنى الكلمة يتحدد تبعا لتعدد السياقات التي ترد فيها، "من قبيل ذلك أسماء الإشارة والضمائر والظروف الزمنية (الآن وغدا وقبل) والمكانية (تحت، فوق، قدام، أمام)"[2]. إذ لا يمكن للمتلقي من إدراك معانيها إلا بإلمامه بالسياق الذي قيلت فيه.

-في حين يقسم أنصار مدرسة السياق هذا النوع ثلاثة أقسام[3].

-السياق العاطفي: الذي يحدد درجة الانفعال قوة وضعفا.

-سياق الموقف: والمتمثل في الظروف والملابسات الخارجية التي تقع فيها الكلمة أو الخطاب.

---

[1] ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ص 40-41.

[2] محمد الولي، السياق... إشكالية قديمة في أضواء جديدة، مجلة الإحياء، ع 25، ص 63.

[3] ينظر إبراهيم أصبان السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، مجلة الإحياء، العدد 25، ص 60.

-السياق الثقافي: يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة.

وهذا ما نجده ماثلا في تعريف تزفيتان تودوروف للسياق بتركيزه على الاعتبارات الاجتماعية بشكل عام إذ يقول: "إننا نسمي مقام الخطاب مجموع الظروف التي نشأ التعبير في وسطها (الكتابي أو الشفهي)، ويجب أن نفهم من هذا المحيط المادي والاجتماعي الذي يأخذ الظرف فيه مكانة، والصورة التي تكون للمتخاطبين عنه، وهوية هؤلاء، والفكرة التي يصطنعها كل واحد عن الآخر (بما في ذلك التمثيل الذي يمتلكه كل واحد عما يفكر به الآخر) والأحداث التي سبقت التعبير (لاسيما العلاقات التي كان يمتلكها المتخاطبون من قبل وتبادلات الكلام حيث يحشر التعبير المعني نفسه)"[1].

فهذا التعريف يبرز ويشدد على أهمية السياق الذي تندرج تحته مجموع القناعات والقيم المشتركة بين طرفي العملية التواصلية (الباث، المتلقي / الكاتب، القارئ) في فهم العبارات اللغوية، إذ يتعذر تأويلها والوصول إلى معانيها إذا اقتصرت على الملفوظ من ناحية الدلالة المعجمية، ومتجاهلين كل شيء عن السياق غير اللغوي الذي قيلت أو أنجزت فيه.

وأمام هذا المنحى من التصور "لا يمكن أن نزعم أن هذه الاعتبارات التي يقدمها تودوروف كافية لتسييج وتقنين مفهوم السياق، إذ أننا بمجرد ما تمتد يدنا إلى الذات الإنسانية تنغمر في ركام

[1] أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ت د. منذر عياشي، ص 677.

هائل من المعطيات والأحوال الذهنية والعاطفية والخيالية التي يصعب حصرها، إننا لا نلتفت إلى هذه العناصر لمجرد التعريف بها، بل ننظر إليها باعتبارها عناصر مؤثرة في خطاباتنا وملونة إياها بمعان خاصة"[1].

إذ يصبح بذلك لزوما على طرفي العملية التخاطبية الإدراك الواعي لعناصر السياق وملابساته الفيزيائية (المكان والزمان)، إلى جانب الاعتبارات الشعورية واللاشعورية العاطفية، والذهنية في فهم الخطاب للتميز بين المعنى اللغوي[*] والمعنى المقصود[**].

فقد لا تساهم كثيرا معرفة قواعد اللغة ومعاني مفرداتها في فهم التعبيرات اللغوية المستخدمة فعليا بين طرفي العملية التواصلية، كون المتكلمين لا يتقيدون بحرفية اللغة في كثير من الأحيان، وما يجعل المخاطَبَ في حاجة إلى الإحاطة بعناصر غير لغوية تساعده في إدراك وفهم حديث المتكلم،

---

[1] محمد الولي، السياق... إشكالية قديمة في أضواء جديدة، مجلة الأحياء، ع 25، ص 64.

[*] المعنى اللغوي: هو المعنى المفهوم عن طريق اللغة وحدها.

[**] المعنى المقصود: هو المفهوم من القولة المستخدمة في ظل عناصر المساق.

وقد انتبه أعلام التراث لهذا الفرق، إذ أنهم بالإضافة إلى تفريقهم بين دلالة المنطوق ودلالة المفهوم، الذي يتصل بهذا التفريق اتصالا وثيقا تراهم يستشهرون الاختلاف بين هذين النوعين من المعنى بوضوح كبير، ومن ذلك ما ذكره أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت 790) من أنه للغة العربية من حيث دلالة على معان نظران:

أحدهما؛ من جهة كونها ألفاظا وعبارات مطلقة، دالة على معان مطلقة، وهي الدلالة الأصلية الثاني؛ من جهة كونها ألفاظا وعبارات مقيدة، دالة على معان خادمة وهي الدلالة التابعة" فالدلالة الأصلية هي الدلالة المفهومة من قواعد اللغة وقوائم معجمها، وهي مشتركة بين اللغات، من حيث كون اللغات جميعها لها نظام من الظوابط والقوانين النحوية والصرفية وقوائم من المفردات المعجمية يمكن لمن يدركها أن يستخدم تلك اللغة استخداما سليما.

أما الدلالة التابعة، فتتدخل فيها أمور أخرى من خارج اللغة ولكنها مرتبطة بها، وينبغي للمخاطب اعتبارها، منما مراعاة المخبر والمخبر عنه والمخبر به، بالإضافة إلى الإخبار نفسه، مع النظر إلى الحال والمساق ونوع الأسلوب فلإدراك كنه مقاصد المتكلمين، لابد من الإلمام بجملة الأعراف وظوابط التخاطب السائدة عند متحدثي اللغة العربية، ينظر محمد محمد يونس علي وصف اللغة العربية دلاليا، ص 121.

كالسياق الثقافي والاجتماعي ومجموع الاستنتاجات التي يهتدي إليها منطقيا أو عرفيا عن طريق القرائن المقالية والحالية[1]. فلابد للمتلقي (المستمع) الموجه إليه الخطاب، من أجل تحديد المعنى المراد من الخطاب أن يكون ملما بنوعي القرائن المقالية اللغوية الخاصة بنظام اللغة الصرفي والنحوي والمعجمي إلى جانب الدور الفعال للقرائن الحالية غير اللفظية في إدراك المعنى من الخطاب والتوصل إلى تأويل صحيح.

مراجع المحاضرة :

- إبراهيم أصبان السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، مجلة الإحياء: عدد 25 يوليو 2007، المغرب.
- أوزوالدديكرو وجان ماري سشايفر القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ت د. منذر عياشي.

[1] ينظر نفس المرجع، ص 120.

- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979.
- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 1979.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري:إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداوليّة، دار الكتُبْ الوطنية، الطبعة الأولى، ليبيا، 2004.
- محمد الولي، السياق... إشكالية قديمة في أضواء جديدة، مجلة الإحياء، ع 25.
- محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا، في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وضلال المعنى، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، 1993

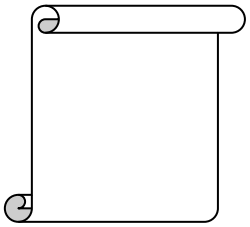

المحاضرة الخامسة عشر

15

التداولية و اللسانيات البنيوية:

لقد ركزت اللسانيات البنيوية لب عنايتها على رصد و استقصاء ة مقاربة البنية الداخلية للنصوص و الخطابات بمعزل عن الحيثيات و السياقات و الوظائف و المقاصد المنوطة بالنص و تشكيلاته أي لعد هذا الأخير عملا مغليا[1] و وفق هذا المنظور فهو انتاجية مبثوثة الصلة لا تحيل إلى شيء خارج البنية الداخلية للنص مما أفضى في نهاية المطاف إلى عدم القبض عن الأغراض و المقاصد و المرامي التي ألف النص من أجلها.

عن هذه الإنتاجية في إطارها البنيوي عبارة عن آلية منسلخة تماما عن مؤلفها (منتجها الأصلي)، و هو ما سمي عند منظري البنيوية بقضية " موت المؤلف "، فموت المؤلف مسألة حتمية بالنسبة لهذه المعطيات، إذ بمجرد انتهاء المؤلف (المنتج) من كتابة نصه، يفقد كل صلة تربطه بهذا الأخير، و هو ما دعى إليه " رولان بارت" متأسيا في ذلك بما أثاره الباحث ملازميه في كتاباته النقدية.

إن هذه المقاربة التقليدية في جوهرها تعمل على تحديد التشكيل الداخلي بالنص و مكوناته اللفظية اعتمادا على رؤية شكلية خالصة مفادها أن النص لا يملك أي علاقة بالعناصر " الخارج

[1]Voir : jean dubois, dictionnaire de linguistique et des sciences du language, larouse bordas, paris, 1999, p 443- 444

لغوية" أي أنها ابتعدت كل البعد في إجراءاتها التنظيرية و الإجرائية (النقدية) عن الأسس السياقية الاستعمال في إطار العمل التواصلي، بل و همشت كل المعطيات و المقومات و الأسس التي من شأنها إفادة العملية التواصلية سواء تعلق الامر بالمنتج (المؤلف) الذي لا يمكنه في حقيقة الأمر غض طرفه عن هذه الحيثيات قصد خلق نوع من التناسب و التماهي بين ملفوظاته و سياقها الخارجي، أم تعلق الأمر بالمتلقي (المستقبل) الذي يجد نفسه في حاجة ماسة إلى استثمار هذه الحيثيات الخارجية في سبيل تشكيل عمليات ذهنية استدلالية تؤدي في نهاية المطاف إلى التأويل المقصدية التي نظمت التراكيب الأدبية من أجلها.

إن قضية صوت المؤلف التي أقرتها البيئة البنيوية بزعامة رواده و أقطابها تعد في حقيقة الأمر نوعا من المخاطرة بقيمة الخطاب في حد ذاته، مما حدى بالمفكر " ميشال فوكو" إلى تبني فكرة جوهرية تهدم و تفند مسألة، الفصل بين المنتج الأصلي للنص و نصه، فهو يعتقد " بأننا نخادع أنفسنا و نكتفي بالإعلان فقط أي إعلان موت المؤلف الكاتب، بينما المؤلف يتمتع بصلاحيات و امتيازات الأمر و النهي"[1] .

و مرد هذا التصور المنبثق من لدى فوكو أن كل خطاب لا يعنى فيه مؤلفه بمرحلة التركيب هو أمر بالغ الخطورة، إذ أنه يؤدي إلى زرع لغة لا يفهم معناها المتلقون، بحكم أن الخطاب في صميمه بناء و تشكيل لغوي، غير أن الاستعمال هو ما يجعل الخطاب يتسم بالفعالية و الحركية مما دعى إلى ضرورة البحث عن مقاربة أخرى تعالج تصور المعالجات البنيوية و تعمل على " دراسة المنجز اللغوي في إطار التواصل، و ليس بمعزل عنه، لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه، فلبست وظائف

[1] نواري سعودي أبو زيد، الخطاب الأدبي من النشأة إلى التلقي، مع دراسة تعليمية نموذجية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005، ص 80.

مجردة، و بما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز"[1] .

ظهور التداولية و معالجة القصور البنيوي:

لقد كان لظروف دراسات اللغوية عن المقاربات ذات البعد الوظيفي الاستعمالي، أثرا خطيرا في المجالات التأويلية الخطابات بكل صورها و أشكالها، إذ برزت عدة مشكلات معرفية في التحليلات الشكلية و لهذا رأى غير قليل من الباحثين أن المنهج التداولي حلا للعديد من هذه المشكلات من خلال إثارة مجموعة من الأسئلة و الإجابة عنها و من بينها:

" ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ لماذا نطلب جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا، بينما في مقدوره أن يفعل؟ فمن يتكلم إذن؟ و إلى من ستكلم؟ من يتكلم و مع من؟ من يتكلم و من أجل من؟ ماذا علينا أن نعمل حتى يرتفع الإبهام عن جملة؟ ماذا يعني الوعد؟ كيف يمكننا قول شيء آخر، غير ما كنا نريد قوله؟ هل يمكن أن نركز إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟ أي مقياس يعد قدرة الواقع الإنساني اللغوية "[2].

و عليه يمكن القول أن الشرح الذي أحدثته البنيوية بين العلامة اللغوية و غيرها من العلامات غير اللغوية (الخارج لغوية) هو الذي كان وراء ظهور التداولية التي وجهت عنايتها نحو إعادة العلاقة

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاومة لغوية تداولية، دار الكتاب الوطنية، الطبعة 1 ، ليبيا ، 2004، ص 23
[2] فراشواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986، ص 07

الحميمية بين البنية الشكلية (التركيبية/ النحوية) و بين استعمالها في العملية التواصلية، و هو ما حدى بالفيلسوف شارلز موريس سنة 1938 بأن يقوم بتقسيم السيمائية إلى ثلاثة فروع و هي:[1]

علم التركيب: و هو دراسة علاقة العلامات ببعضها البعضعلم الدلالة: و هو دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تميل إليها

التداولية: و هو دراسة علاقة العلامات بمؤوليها و مفسريها

و الجدير بالذكر ها هنا، أن هذا الترتيب الذي اعتمده موريس لم يكن عشوائيا، فهو ترتيب منظم ينتقل من الخاص إلى العام، حيث تتشابك العلامات اللغوية و تتلاحم فيما بينها وفق نظام تركيبي مقنن (علم التركيب)، ثم تأتي مرحلة الإحالة إلى مراجعها (علم الدلالة)، و الذي يعطي دلالات واسعة و غير دقيقة، و أخيرا تأتي مرحلة التداولية التي تقوم يضبط المقصدية و إزالة الاحتمالات.

إن المتأمل لهذه العلوم الثلاثة المشكلة للسيميئيات، بلقي أنها منصهرة و غير منفصلة عن بعضها البعض، و هذا ما أقرته فرانسوازأرمينكو، حيث أشارت إلى أن موريس قد توقع ما تؤول إليه الدراسات المستقبلية من انبثاق التخصصات الدراسية المتعلقة بالمقاربات اللغوية " من أجل هذا فإن موريس لا يصر على تداخل العلاقات الخاصة بهذه الأبحاث في السيمياء، إذ أن الأبحاث تنمو انطلاقا من علم التركيب، فعلم الدلالة، فعلم التداولية و لا يكفي لأحد هذه العلوم بحسب موريس تحديد مفاهيمه الخاصة، إذ لا يمكن للتداولية أن تذهب بعيدا من دون أن تأخذ أولا بنظرها البنيات الشكلية، أي القوانين الخاصة بعلم التركيب، و يجب عليها أن تبحث ثانيا عن

[1]Voir : Dominique Maingueneau : pramatique pour le discours litteraire, edition mathan université, paris, 2001, p 03.

علاقة تداولية، بمعنى أن تقوم أساسا بمعالجة استعمال العلامات، و أخيرا يجب عليها البحث في علاقة هذه العلامات بموضوعاتها، أو ما يسمى الجانب الدلالي الموضوعي"[1]

. و وفق هذا المقتضى التصوري، فإن المنهج التداولي كان بمثابة بديل حتمي أملاه المسار التاريخي اللساني الذي افتقر لمثل هذه المقاربات، و لذلك اعتبر الباحث اللغوي " قولفاجا هـ-م-د فيهجر في كتابه " مدخل إلى علم لغة النص" أن أهم الدواعي المعرفية التي دفعت التداولية إلى الانبثاق و التوهج و السيطرة على ميادين الدراسة اللسانية: ظهور مشكلات جديدة في الممارسة اللغوي، تحتاج إلى نوع جديد من الدراسة المتحررة من حواجز و تقنيات المقاربات البنيوية التقليدية المهتمة بالنظام اللغوي، دون سواه مثل التوفيق، المعالجة الآلية للمادة اللغوية، اكتساب اللغة، تعليم اللغة، الترجمة، التوجيه اللغوي، العلاج باللغة، تأثير اللغة في الاتصال اليومي[2].

و عليه يمكن القول أن البعد الجوهري و المهم جعل التداولية بمثابة البديل الفعال الذي سوف يأخذ على عاتقه معالجة المثالب التي وقعت فيها اللسانيات البنيوية، هو البعد الاستعمالي/ المقامي/ التواصلي .... فلقد حظي باهتمام كبير من طرف العديد من الباحثين و العلماء التداوليين، لدرجة أنهم قسموه إلى عدة أنواع سموها نماذج الاستعمال اللغوي، و يمكن أن تظهر هذه الأخيرة في الخطابات وفق عدة أشكال مختلفة مثل "عقد المفاوضات التي يشترط فيها أطراف القضايا و المراسلات، و إبرام العقود، و تدوين المكاتبات و المحادثة البسيطة، و الحوار المعقد، كما

[1] مصطفى علفان، اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 4، د.ت، ص 246

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 25

يشتمل كثيرا من النماذج، فهناك النماذج الأدبية من رواية و قصة، و منها كذلك الكلمات التي تلقى عادة في المظاهر الاحتفالية"[1] .

عن أي نظرة حصينة لهذا المنحى التداولي تقودنا إلى فكرة جوهرية مفادها أن الدرس التداولي وهو يحاول أن يعالج المزالق و المطبات التي سقطت فيها البنيوية، غنما اعتمد على عدة مفاهيم إجرائية لم تسلط عليها البنيوية، أي اهتمام من مثل مفهوم المقاصد و الوظيفة و المقام و الاستعمال، والعناصر " الخارج لغوية "، لأن الوصول إلى عمق النص و إفرازاته و تأويلاته المقصدية لا يمكن أن يتم إلا بالخروج من الإطار الشكلي (المتعلق)، و الانتقال إلى مجال خارج إطار المرجعية اللغوية يتجسد في السياق الذي هو " .... مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام" بمعنى الإحاطة التامة و الشاملة بكل الحيثيات و الشروط و المعطيات من سياق نفسي وحضاري و انتربولوجي و اجتماعي ... من أجل الوصول إلى تحليل خطابي منظم و ممنهج لوصل الباحث أو المحلل أو المؤول .... إلى المقاصد التي يروم إليها مؤلف النص، و هو ما عملت التداولية عليه.

وانطلاقا من هذه العتبات المنهجية، يمكن القول: أن ثراء الدرس التداولي و سعة مجاله الوظيفي والمقاصدي و الاستعمالي الذي غطى أوجه المزالق التي سقط فيها الفكر البنيوي، لم يكن وليد الصدفة بل تعدى من عدة تخصصات مثل علم النفس، و علم النفس المعرفي، و الفلسفة و المنطق و علم الاجتماع، و في هذا الإطار يقول مانغونو: " إنه من الصعب الحديث عن التداولية، لأن

[1] ينظر : خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع حاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط 1، الجزائر 2009، ص 45

هذا التعبير يغطيه العديد من التيارات من علوم مختلفة، فتقاسم عددا من الأفكار .... واللسانيون ليسوا وحدهم المعنيين بالتداولية، بل يعني الكثير من علماء الاجتماع إلى المناطقة وتتجاوز اهتماماتها بمجموع الأبحاث المتعلقة بالمعنى و التواصل، و تطغى على موضوع الخطاب لتصبح نظرية عامة للنشاط الإنساني[1].

مراجع المحاضرة :

- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع حاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط 1، الجزائر 2009.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاومة لغوية تداولية، دار الكتاب الوطنية، الطبعة 1 ، ليبيا ، 2004

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 41

- فراشوازأرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986.
- مصطفى علفان، اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 4، د.ت.
- نواري سعودي أبو زيد، الخطاب الأدبي من النشأة إلى التلقي، مع دراسة تعليمية نموذجية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005.
- Dominique Maingueneau : pramatique pour le discours litteraire, editionmathan université, paris.2001.
- jean dubois, dictionnaire de linguistique et des sciences du language, larouse bordas, paris, 1999, p 443- 444

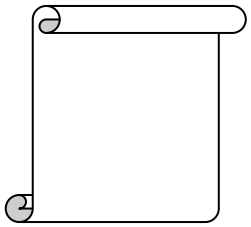

المحاضرة السادسة عشرة

16

الأفق الإستعمالي في الدرس التداولي:

من البيّن أن لعناصر العملية التواصلية الأثر الكبير في كل موقف تواصلي، ودورا كبيرا في تشكيل الخطاب، ومن أهم هذه العناصر لا حصرا الباث والمتلقي؛ فقد يوجد على الأقل في كل موقف تواصلي شخصان أحدهما باث (المتكلم / الكاتب) والآخر متلقي (المستمع القارئ) وكلاهما ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية لها نفس اللغة تربطها ضروب الاتفاق والتواطؤ، لإنتاج عبارة أو إنجاز عدد من الأفعال الإنجازية، وفق سياق دينناميكي حركي، فالسياق مجموعة متوالية لأحوال اللفظ، لا مجرد حالة لفظ واحدة، وزيادة على هذا لا تظل المواقف متماثلة في الزمان، وإنما تتغير، وعلى ذلك فكل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث مغاير لسابقه[1].

[1] ينظر، فان ديك، النص والسياق، ص 258.

كما نستشف مما ألمح إليه من العناصر المجسدة للعملية التواصلية، أن هذه الأخيرة لا تكتمل إلا بحضور عناصرها مجتمعة؛ (المخاطِب، المخاطَب، الخطاب السياق) إذ لكل عنصر من هذه العناصر دورا فعالا، إذ يتجلى في الخروج من حيز النظام اللغوي، إلى التجلي الحقيقي، أو الغاية التي يسعى إليها طرفا العملية التواصلية[1].

وعليه يمكن تسمية السياق بالجو الخارجي الذي يلف إنتاج الخطاب بكل مستوياته من ظروف وملابسات واهتمامات ومقاصد ومعتقدات وإيديولوجيات، وثقافة طرفي الخطاب (المخاطِب والمخاطَب) وما بينهما من علاقة، ومما لاشك فيه أن لهذه العناصر أثرا قبل وأثناء التلفظ، ودورا كبيرا في الوصول إلى مقصدية الخطاب[2].

أ- المرسل:

يعتبر الذات المحورية في إنتاج الخطاب إذ يتلفظ به عند وجود مثير يحفزه إلى الكلام من أجل التعبير عن مقاصده بغية تحقيق أهداف معينة، اعتمادا على استراتيجية خطابية، مؤسسة على مجموع العناصر السياقية المحيطة به، واعتمادا على كفاءته اللغوية من أجل تركيب رسالة سليمة التركيب لأداء مهمة الإبلاغ والإفادة والإفهام، ومن جانب آخر تتكفل كفاءته التداولية بنجاحه في استخدام العبارات اللغوية استخداما مناسبا للسياقات المختلفة. من أجل تحصيل غاية

[1] ينظر المرجع السابق، ص 120.

[2] ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشاهري، استراتيجيات الخطاب، ص 45.

للتفاهم بينه وبين المرسل إليه[1]. وحتى لا يجد المتلقي صعوبة في إدراك المعنى المبتغى والواقع أن إنجاز الفعل اللغوي قائم على أهلية المرسل، لتحديد هدفه إذ يعتبر المحك الأساسي لتحقيق بعض هذه الأفعال، إذ لابد من توفر بعض الشروط فيه، كالموقع الوظيفي، الذي يؤهل المدير مثلا لاتخاذ قرارات التعيينات والفصل والعقاب، فبدون هذا الموقع لا يمكن أن يصبح خطابه نافذا، إضافة إلى حصول الإرادة للتلفظ بالخطاب في السياق المناسب، وهذا يعمم أيضا على الخطاب المكتوب كالأوامر المكتوبة أو الإعلانات التجارية[2].

ب –المرسل إليه:

وهو الطرف الثاني في العملية التخاطبية، الذي يُوجِه إليه المرسل خطابه، إذ يبرز دوره في تفكيك الخطاب عند تلقيه، أي تفكيك الرسالة اللغوية، إذ يعتبر دورا إيجابيا من حيث كونه مكملا لعملية التركيب التي قام بها المرسل، فإنه يتعامل مع الخطاب بطريقة خاصة في الفهم، مستعينا في ذلك بكفاءته اللغوية والتداولية وحتى كفاءته الإيديولوجية –عادات، تقاليد توجيهات سياسية...– التي ينفرد ويتميز بها عن غيره، وإن كانت في معظمها مشتركة بين أفراد مجتمعة، وهذا ما يسهم بالكثير أو القليل في إدراك المعنى والوصول إليه[3].

---

[1] ينظر محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا، ص 131، وعبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 45.

[2] ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 46.

[3] ينظر محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا، ص 132.

وعليه فبناء الخطاب مرهون بالمرسل إليه، إلى حد كبير، بمعرفة حاله، وقدراته اللغوية والتداولية، فهو حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، كما له الدور الكبير في اختيار الاستراتيجية الخطابية المناسبة، واختيار الشكل اللغوي المناسب[1].

ج –العناصر المشتركة:

إن العلاقة بين طرفي الخطاب من أبرز العناصر السياقية إذ لا يقتصر الأمر على دور طرف دون الطرف الآخر، أو بمعزل عن محيطهما، فللعلاقة والمعرفة المشتركة وغيرها من العناصر المؤثرة، الأثر الكبير والدور الفعال في اختيار وتحديد أنجع الاستراتيجيات، إذ يراعيها المرسل ولا يهملها ولا يغفل عنها عند إنتاج خطابه، إذ تعتبر محددا سياقيا، يرتكز عليه نجاح عملية التواصل وتحقيق الأهداف من عدمها[2].

كما أن لنوع العلاقة بين طرفي الخطاب انعكاسا على تدرج الخطابات، فكلما كانت العلاقة رسمية بين المرسل والمرسل إليه، كان الخطاب أكثر مباشرة على القصد، كالأمر في المثال التالي: ردَّ على الهاتف، في حين كلما كانت العلاقة حميمية بين طرفي العملية التخاطبية التواصلية، ابتعد المرسل بخطابه عن الدلالة المباشرة مثل: هل لديك ما يمنع من أن ترد على الهاتف[3].

---

[1] ينظر المرجع السابق، ص ص 47-48.

[2] ينظر نفس المرجع، ص 48.

[3] ينظر نفس المرجع، ص ص 48-49.

زد على ذلك المعرفة المشتركة للعالم بما فيه من أطر دينية وثقافية واجتماعية فإن أغلب حالات سوء التفاهم وعدم الوصول إلى القصد تترتب عن تباين سياقات التواصل، كما في قصيدة الشاعر العباسي علي بن الجهم يمدح أحد الخلفاء العباسيين:

أَنْتَ كَالكَلْبِ في حِفَاظِكَ لِلْوُدّ وكَالتَيْسِ في قِراعِ الخُطُوبِ

يقصد المدح انسجاما مع سياقه الثقافي والاجتماعي البدوي. وبعدما قضى مدة من الزمن في الحضر وتكافؤ السياقين مدحه برائعته:

عُيُونُ المَهَا بين الرصافة والجِسْرِ يَجْلُبْنَ الهوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي[1]

ولعل هذه الفعالية في الخطابات لا تتأتى إلا إذا توفر عند طرفي الخطاب مقدار متقارب من المعرفة اللغوية نفسها، إذ تعتبر هذه الأخيرة عنصرا مهما في السياق، إذ لا تتحقق عملية التواصل بدونها، إلى جانب المعرفة التداولية، التي ينظر إليها على أنها المعرفة المتطلبة لتحديد ما تعنيه العبارات اللغوية في السياقات[2].

[1] ينظر محمد الولي، السياق... إشكالية قديمة في أضواء جديدة، مجلة الإحياء، ع 25، ص 66.

[2] ينظر، محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا، ص 127، وعبد الهادي بن ظافر التهري، استراتيجيات الخطاب، ص 50.

ومما هو جدير بالذكر في هذا الإطار، هو التركيز على هذه العناصر المشتركة اللغوية التلفظية وغير اللغوية (Extralinguistique) بين طرفي العملية التواصلية، لما لها من دور فعال في تشكل الخطاب وتجسيده الفعلي بغية تحقيق الفائدة وتوصيل المعنى لأن أغلبية الأفعال التلفظية يتعذر تأويلها والوصول إلى معانيها، إذ اقتصرت معرفتنا على اللغة وحدها وتجاهلنا للسياق بما يحويه من عناصر.

في ظل هذه العتبات المنهجية تظهر وبشكل جلي تعالقاتمفاهمية مشتركة وإجراءات آلية محققة تقع بين حدود تداولية كنظرية لغوية معاصرة وتحليل الخطاب المتعلق بلسانيات النص؛ باعتبار أن أهم رافد اغترف منه هذا الحقل الأخير مندرج تحت بوثقة البعد المقامي السياقي و البعد المقصدي .

إذ يمكن القول بما لا يدع مجالا للشك أن معظم الجهود التحليلية للخطابات و النصوص قائمة على معرفة تامة لبنية السياقات المؤطرة لها بما تشمله من عناصر مختلفة كالمرسل و المرسل إليه و العناصر المشتركة بينهما ، وهذا كله من أجل تحقيق التحليل السليم الدقيق للمعاني المختلفة لهذه الإنتاجات اللغوية ، و بالتالي فرض فعالية قصوى يتم عن طريقها الوصول إلى المقاصد و الأهداف التي ترمي إليها الخطابات و النصوص.

مراجع المحاضرة :

- عبد الهادي بن ظافر الشاهري، استراتيجيات الخطاب، المقاربة اللغوية التداولية ، دار الكتب الوطنية، ط1، 2004
- فان ديك:النص والسِّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، 2000.
- محمد الولي، السياق... إشكالية قديمة في أضواء جديدة، مجلة الإحياء، ع 25.
- محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وضلال المعنى، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، 1993